Université Sétif2

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة فرحات عباس سطيف (الجزائر)

مذكـــرة
مقدمة بكلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

لنيل شهادة:
الماجستير

تخصص: علم الدلالة
من إعداد الطالب:
ياسين بغورة

الموضوع :

التصنيف الموضوعي عند علماء العربية القدامى في ضوء نظريـــــة الحقول الدلالية (فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي-أنموذجا-)

أمام اللجنة المكونة من:

د/عيسى بن سديـرة	أستاذا محاضرا	جامعة سطيف	رئيسا
د/صلاح الدين زرال	أستاذا محاضرا	جامعة سطيف	مشرفا
د/يـوسـف وسطانـي	أستاذا محاضرا	جامعة سطيف	مناقشا
د/محــــــمد زهار	أستاذا محاضرا	جامعة مسيلة	مناقشا
د/خــالد هدنــــــة	أستاذا محاضرا	جامعة سطيف	مدعـوًّا

نوقشت بتاريخ:..............................

السنة الجامعية:2012/2011

مقدمــة:

اللغة ذخيرة الأمة، وركيزتها الرئيسة التي تبني عليها حضارتها ومجدها، وهي من مقومات الأمة، متى كانت اللغة متطورة، أوجدت مجتمعا تشوبه الحضارة والرقي، على جميع أصعدته ومستوياته، وهي وسيلة تواصلية من خلالها يتواصل المجتمع ويحقق ذاته، وكما عرفها ابن جني أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فاللغة عرفها المجتمع الإنساني منذ تكونه، وواكبت وجوده، ونشأت بنشأته، ويقدر عمرها بعمره، وأتاحت لأفراده الاتصال ببعضهم البعض، حيث حملت أفكارهم، وأسهمت في حضارته، فهي بمثابة الوعاء الذي حوى تلك الحضارة، وأصبحت بذلك اللغة والمجتمع والحضارة، ظواهر ثلاثية متداخلة ومتكاملة.

إن الاهتمام باللغة كان حتمية لا مفر منها، كي نحفظ تاريخ الأمة وحضارتها، فصب المجتمع جهوده في الاشتغال بها، والذي بدأ بالرغبة في تدوينها لتخلد وتتناقلها الأجيال، وبدأت صورة اللغة في التطور شيئا فشيئا، نتيجة اهتمامات العرب بلغتهم ومحاولة الحفاظ عليها، في كنف القرآن الكريم والسنة الشريفة، وكانت بحوث العرب واهتماماتهم فريدة في عمقها، وفي أصالتها، وفي منهجها، الذي استنبطوه من خلال تأثرهم بالنصوص وبخاصة النص القرآني، من منهج رائد في تربية العقل وتوجيه الفكر، لاستيعاب وحي الله وهدي نبيه –صلى الله عليه وسلم-، ومعالم هذا المنهج انحصرت في التجربة والتوصيف، والاستدلال، والتنظير، ثم جاء عصر النهضة وطور منهج البحث العلمي عامة، واللغوي بوجه خاص، وكان هذا بتشعب المناهج التي خرجت من صلب الفلسفة، كالمنهج الوصفي، والتاريخي، والمقارن، والمنهج التجريبي، والمنهج الجغرافي المرتبط بدراسة اللهجات، وطورت بعد ذلك الدراسات اللغوية نفسها متأثرة بهذه المناهج الحديثة، وتمكنت البحوث من دراسة اللغة الإنسانية على نحو علمي، من أجل كشف النظام العام الذي يحمل بين طياته، النظام الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي، ولأن الغاية من اللغة تحقيق العملية التواصلية، اهتم الباحثون بمحاولة إيجاد علم خاص يهتم بالمعاني، كون المعنى الغاية المثلى من الكلام، فاهتموا بالسياقات وبالمعاني والأبعاد التي تحدثها اللغة، وتمكنوا من وضع علم خاص ونظام منفرد هو النظام الدلالي، فالدلالة تضع على عاتقها المعنى والسياق، دون أن تنفصل عن بقية الأنظمة الأخرى، لأنها جميعا تشكل نظاما عاما مشتركا وهو اللغة، ولأن اللغة من تراثنا ومن مقوماتنا، ومن جذورنا العربية الأصيلة، بات من الضروري المحافظة على هذا التراث اللغوي القديم،

ولا يتحقق ذلك إلا بمحاولة نثر الغبار على حضارة بأكملها، تزيدنا عمقا في البحث، والغور في أرجائها كلما أردنا أن ننطلق في أبحاثنا الآنية، غذتنا من أصالتها وثرائها، إننا نحاول من خلال هذه الإطلالة في هذا البحث، أن نستحضر تراثنا اللغوي الزاخر، ونعقد مقارنة بينه وبين البحوث اللسانية الحديثة التي توصل إليها علماؤنا اليوم، ونحاول التأصيل لنظرية الحقول الدلالية، والإسهامات اللغوية لعلماء العربية القدامى في هذا المجال.

ويكتسي الموضوع أهمية بالغة كونه يدور في فلك التراث اللغوي العربي، -الذي نحاول من خلال البحث أن نقوم بعملية إحياء للتراث بغية الحفاظ على هذا الموروث-، ويمتد إلى البحث الحديث، متبعين منهجا وصفيا.

والسبب الرئيس في اختياري لهذا الموضوع، هو محاولة استكشاف باطن تراثنا اللغوي، ومقارنته بالجهود التي قدمها علماء اللغة اليوم، وهي قراءة للتراث اللغوي العربي، واخترت كتاب فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي، ليكون شاهدا في بحثي هذا على ما حاولت الوصول إليه، من غور في محطات التراث القديم، وبحث فيما توصل إليه علماء اللغة اليوم، هي رحلة جذورها في الماضي، ورأسها في الحاضر، وهذا الكتاب يعد من بين أوفى وأشمل الكتب التي كتبت في هذا النطاق، وأغزرها مادة، وأدقها لفظا، وأحسنها تبويبا وتفصيلا، وأصدقها، كون الثعالبي قام بنقل ما كان يدور في مجالس أبي الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي، من أقوال مجموعة كبيرة من علماء عصره، كما يقر ذلك في مقدمة كتابه، وقد اعتمد في كتابه على أمانة علمية بارزة إثر نسبة بعض الأقوال إلى أصحابها، و أغنى كتابه بالأدلة والشواهد المتنوعة، من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ومن الشعر، والثعالبي عا لم من علماء عصره، وباحث، وراصد، تتبع ألفاظ اللغة، بشكل يوحي بالنباهة والحيطة والذكاء والدقة، كل هذه الأشياء كانت كافية لأن أختار كتابا كهذا دون غيره، وطبقت عليه البعد التراثي لنظرية الحقول الدلالية، وحاولت قدر المستطاع أن أطبق على أكبر جزء من الكتاب، وبالنسبة للدراسات السابقة في هذا المجال، فهي كثيرة ومتنوعة، وإنما كل باحث ركز على جانب معين، سواء فيما يخص موضوعه العام، أو ما تعلق بمادة البحث، وأقصد بذلك الكتاب الذي نوظفه شاهدا في البحث، ولم أكتف في بحثي هذا أن أثبت أصول هذه النظرية، وإنما حاولت أن أقدم بعدا جديدا يتعلق بالوقوف عند أنواع الحقول الموجودة، وكنت كل مرة أعلق وأنوه إلى أشياء جديدة متعلقة بالبحث، وحاولت من خلال البحث الإجابة على جملة

من التساؤلات، أبرزها: مامدى معرفة ودراية اللغويين العرب لنظرية الحقول الدلالية؟ وهل ما وجدناه من كتب قيمة في هذا المجال، يني عن علم وإلمام بالأطر العليا لهذه النظرية؟ هذا ما سنحاول معرفته من خلال هذا البحث الذي ارتأينا أن نقسمه قسمين: قسم نظري، ويضم فصلين نظريين، وقسم تطبيقي، يشمل فصلا واحدا. يسبق كل هذا مقدمة ومدخل، كانت المقدمة حديثا عاما وشاملا حول اللغة ومدى ارتباطها بتاريخ العرب، وتفرعها، وبروز علم الدلالة ثم عرضنا خطة البحث.

المدخل: ويشمل الحديث عن علم الدلالة، ماهية وتاريخا، ثم علاقته ببقية العلوم، وكذا بالمستويات اللغوية الأخرى.

الفصل الأول: عنونته بـ 'التصنيف الموضوعي بين التراث اللغوي العربي والنظريات اللسانية الغربية'، وقسمته ثلاثة مباحث، يسبقها تمهيد عام حول الفصل.

المبحث الأول: تصنيفات المعاجم العربية، وعرضت: معاجم الألفاظ، معاجم الموضوعات، ثم أهم المحاولات النقدية للمعاجم العربية القديمة.

المبحث الثاني : 'النظريات الدلالية الحديثة'، وعرضت فيه أهم النظريات،كالإشارية، والتصورية، والسلوكية، وغيرها.

المبحث الثالث: دار حول التصنيف الموضوعي.

والفصل الثاني: كان عنوانه 'كتاب فقه اللغة ونظرية الحقول الدلالية عند العرب'، وكذلك قسمته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اختص بالحديث عن الكاتب'أبو منصور الثعالبي'، وأهم محطات حياته.

المبحث الثاني: تحدثت فيه عن الكتاب 'فقه اللغة وسر العربية'، وسياقاته.

المبحث الثالث: خصصته لـ 'نظرية الحقول الدلالية عند العرب'.

الفصل الثالث: هو فصل تطبيقي، عنوانه:' البعد التراثي والتاريخي لنظرية الحقول الدلالية من خلال كتاب فقه اللغة'، وقسمته مبحثين:

المبحث الأول: طبقت فيه نظرية الحقول الدلالية على كتاب 'فقه اللغة وسر العربية للثعالبي'، وحاولت استكشاف تاريخها وأصولها من خلال الكتاب.

المبحث الثالث: وفيه طبقت عناصر الحقول الدلالية على كتاب 'فقه اللغة'.

وأخيرا خاتمة البحث، ثم قائمة المصادر والمراجع.

وختامًا أحمد الله تعالى حمد الشاكرين على عظيم نعمائه وجميل عطائه، الذي جعل بعد الشِّدة فرجًا ومن الهم والضيق مخرجًا، فقد أعانني على إتمام هذا البحث الذي أرجو أن يكون في المستوى اللائق بمن سيطلعون عليه، وبمن بذلوا الجهود المضنية في سبيل إخراجه بصورة تستحق أن أنال به درجة الماجستير إن شاء الله.

ومن منطلق حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"، فإني أتقدم بالشكر الجزيل إلى جامعة فرحات عباس، وأخص بالذكرأساتذة قسم اللغة والأدب العربي، وعلى رأسهم الأستاذ المشرف: الدكتور صلاح الدين زرال الذي كان يمثل مشعلا من مشاعل العلم استضأت به في مشواري هذا، فقد كان نعم الناصح الأمين، أتقدم له بكل الشكر والامتنان، أشكره على صبره وسعة صدره، أسأل الله أن يحفظه من كل مكروه، ويمده الصحة والعافية، حتى يستفيد منه طلبة العلم، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

وأبلغ الشكر والحب والعرفان بالجميل، إلى الوالدين الكريمين، والإخوة والأخوات، والخطيبة الغالية، وكل العائلة الحبيبة، لكل هؤلاء الأفاضل، ولكل من ساعدني في بحثي هذا، بكثير أو بقليل، لا أجد أبلغ ولا أفضل من أن أقول لهم، جزاكم الله خيرا.

المدخل

علم الدلالة، الماهية والعلائق

مدخـل:

لا يستطيع الإنسـان أن يعيش بمنـأى عـن مجتمعـه، فهـذه طبيعـة البشـر تحتـاج إلى التـأثير والتـأثر والعـيش والتعـايش، ولا يتحقـق ذلـك إلا بوجـود طرائـق لحفـظ هـذه العلاقـات وتحقيـق الاستمرارية، وهذا يتطلب لغة تحفظ عملية التواصل الاجتماعي.

واللغة تستوجب فك رموزها لتبليغ الرسالة وبلوغ العملية التواصلية، والدلالات كما هو معروف مسؤولة عن فك الإبهامات وتحقيق التواصل، وهذا ما تبناه علم اللغة ووضعه اللغويون على عاتق علم الدلالة.

وقبل الحديث عن نشأة علم الدلالة وتاريخه وعلاقته بالعلوم الأخرى ينبغي علينا أولا أن نقف عند مفهومه .

1- علم الدلالة: 'توصيف المصطلح':

إذا أردنا أن نعرف علم الدلالة، فإنه يستوقفنا المصطلح أولا، فنقول :جاء في تهذيب اللغة للأزهري في قسم (دلل) :

" دلّ ، يدلّ ، إذا هدى ، ودلّ إذا منّ بعطائه ، والأدلّ : المنّان بعلمه ، والدليل من الدلالة ، بالكسر والفتح، ودللت بهذا الطريق دلالة ، أي عرفته"[1]

" والدِّلالة مصدر كالكتابة والإمارة، والدال من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم وعليم وقادر وقدير، ثم يسمى الدال والدليل دلالة، كتسمية الشيء بمصدره"[2].

علم الدلالة في الاصطلاح:

حدد مفهوم علم الدلالة بيير غيرو بقوله : " علم الدلالة هو دراسة معنى الكلمات"[3]

وعرفه يانسن : " هو العلم الذي يبحث في معاني الكلمات وأجزاء الجمل ، ونعني بذلك علم الدلالة اللغوي ، أي ذلك العلم الذي يبحث في اللغات الطبيعية عندما يعتمد على نظرية معينة لتفسير المعنى ويعد هذا العلم فرع من فروع علم اللغة"[4] .

---

[1]: الأزهري، تهذيب اللغة، قسم (دلل)،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ص 14.

[2]: : الأصفهاني، المفردات، دار المعرفة، بيروت، لبنان،ص 173، وللاستفاضة أكثر يمكن الرجوع إلى كتاب تهذيب اللغة للأزهري، وكتاب المفردات للأصفهاني، ولسان العرب لابن منظور والصحاح للجوهري.

[3]: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، 1997 ص 28

[4]: المرجع نفسه، ص نفسها.

وأداة اللغة فيه هي اللفظ أو الكلمة"[1]، وهناك من يرى أن الدلالة هي السياق أو الأسلوب[2].

أما في اللغة الإنجليزية فقد أطلقت عليه عدة أسماء "أشهرها الآن كلمة semantics وفي اللغة العربية بعضهم يسميه علم الدلالة بفتح الدال وكسرها وبعضهم يسميه علم المعنى" [3]

ويحذر أحمد مختار عمر من استعمال كلمة الجمع وهي علم المعاني لأن علم المعاني فرع من فروع البلاغة ، وبعضهم يطلق عليه اسم السيمانتيك أخذا من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية.

يعرفه أحمد مختار عمر أنه دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى ، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى[4].

ويقف الجرجاني عند الدلالة ويقول فيها : " الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"، أي هي إحالة بمعنى آخر أو إيحاء لمعان جديدة انطلاقا من الكلمة الأولى.

2- موضوع علم الدلالة:

من خلال التعريفات السابقة يتبين أن موضوع علم الدلالة هو كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز، وتختلف هذه العلامات أو الرموز وتكون إما إشارة باليد أو إيماءة بالرأس، أو كلمات وجملا، قد تكون هذه العلامات والرموز غير لغوية وتحمل معنى[5].

ورغم هذا الاهتمام الذي يبديه علم اللغة بدراسة الرموز وأنظمتها حتى ما كان منها خارج نطاق اللغة ، فإننا نجده يركز على اللغة من بين أنظمة الرموز باعتبارها ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان، ومن الموضوعات التي يتناولها هذا العلم " البنية الدلالية للمفردات اللغوية، العلاقة الدلالية بين المفردات ، كالترادف والتضاد ، المعنى الكامل للجملة والعلاقات القواعدية بينها ، علاقة الألفاظ اللغوية بالحقائق الخارجية التي تشير إليها"[6].

---

[1]: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 28.

[2]: ينظر محمود السعران، علم اللغة،دار الفكر العربي،القاهرة،ط2: 1997، ص 264

[3]: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5: 1998، ص 11

[4]: ينظر المرجع نفسه، ص11، 12

[5]: المرجع نفسه، ص 12

[6]محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1: 2004، ص12

و إذا نظرنا إلى الغرب نجد أن بعض الأبحاث التقليدية السائدة عندهم ، تعرف باسم علم الدلالة التاريخي، الذي يدرس الكلمة المفردة، وتاريخها وتطور معانيها عبر العصور[1] .

3- نشأة علم الدلالة:

3-1- تاريخ علم الدلالة عند غير العرب:

إذا أمعنا النظر في الدراسات القديمة، نجدها ولا شك تطرقت في بحوثها ومناقشاتها لموضوعات تعد من صميم علم الدلالة، ومعنى هذا أن الدراسة الدلالية قديمة قدم التفكير الإنساني ومواكبة لتقدمه وتطوره[2] .

وقد بين أرسطو الفرق بين الصوت والمعنى، وذكر أن المعنى متطابق مع التصور الموجود في العقل المفكر، كما ميز بين أمور ثلاثة :

أ- الأشياء في العلم الخارجي

ب- التصورات: المعاني

ج- الأصوات: الرموز أو الكلمات

" واستمد الدلاليون ما كان لدى البلاغيين منذ أرسطو ، وفسروا تغييرات المعنى لغويا في المجاز و الاستعارات ، كما أنهم تابعوا تحليل التصورات فلسفيا وربطها بالحقيقة وبالأشياء ، ثم ركزوا بحوثا لهم في علاقات الرموز بمدلولاتها "[3] .

وكان موضوع العلاقة بين اللفظ ومدلوله من القضايا التي تعرض لها أفلاطون في محاوراته عن أستاذه سقراط ، وكان اتجاه أفلاطون نحو العلاقة الطبيعية الذاتية ، مدعيا أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة ، سهلة التفسير في بدء نشأتها ، ثم تطورت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن نبين بوضوح تلك الصلة،نجد لها تعليلا وتفسيرا[4] .

و أوضح أرسطو آراءه عن اللغة وظواهرها في مقالات تحت عنوان الشعر والخطابة ، " وبين فيها عرفية الصلة بين اللفظ ومعناه"[5].

1: محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص12

2: أحمد مختار عمر، علم الدلالة،ص 17.

3: فايز الداية، علم الدلالة العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1973.ص 7

4: ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 18

5: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وقد تساءل اليونانيون عن ماهية اللغة وأصلها ، وعن ماهية الكلمة ، وتساءلوا ، هل هناك علاقة طبيعية وضرورية بين الكلمة وبين الشيء الذي ترمز إليه، أتعلق المعاني بالكلمة تعلق بالطبع أم تعلق بالاصطلاح؟[1] .

أما الهنود فلم يكونوا أقل اهتماما بمباحث الدلالة من اليونانيين ، فقد عالجوا منذ وقت مبكر كثيرا من المباحث المرتبطة بفهم طبيعة المفردات والجمل " بل لا نغالي إذا قلنا إنهم ناقشوا معظم القضايا التي يعتبرها علم اللغة الحديث من مباحث علم الدلالة"[2] .

وفي أواخر القرن التاسع عشر تبلور مصطلح علم الدلالة في صورته الفرنسية على يد اللغوي الفرنسي بريال Breal "ليعبر عن فرع من علم اللغة العام هو علم الدلالات ليقابل علم الصوتيات الذي يعنى بدراسة الأصوات اللغوية"[3]، " وهذه الدراسة تعد أولى الدراسات العلمية الحديثة الخاصة بالمعنى التي قام بها ميشيل برييل في كتابه Essai de sémantique 1897 وكانت جهود برييل مأخوذة من دراسة اللغات الكلاسيكية اليونانية واللاتينية والسنسكريتية ، وكانت الدراسة الدلالية عند برييل متعلقة بالاشتقاق التاريخي ، ويبدو أن برييل كان يرى في الأصول التي تحكم تغيير المعنى خصائص عقلية مجردة، وذلك مثل الحاجة إلى الوضوح"[4] .

و يتضح من هذا أن برييل ومن بعده بقليل كانوا لا يعنون العناية الواجبة بالجوانب الاجتماعية وغير الاجتماعية للظروف الإنسانية المتغيرة .

و ظهر كذلك عمل لغوي ضخم للعالم السويدي أدولف نورين Adolf Noreen بعنوان ' لغتنا' وكان هذا في أواخر القرن التاسع عشر كذلك ، خصص فيه قسما كبيرا لدراسة المعنى ويعتبر سباقا في الكثير من النتائج التي توصل إليها ، وتعد أفكاره أساسا للكثير من النظريات التي طورها اللغويون الأوروبيون و الأمريكيون فيما بعد، وبعده ظهر العالم ماكس ميلر Max Maller وهو ممن أسهم في وضع أسس دراسة المعنى[5]، وتتابعت الدراسات الدلالية بعد ذلك فخصص كريستوفر Kristoffer مجلدا كاملا من كتابه ' دراسة تاريخية لنحو اللغة الفرنسية ' خصصه للتطور السيمانتيكي سنة 1913، ونشر قيستاي Gustay سنة 1931 دراسة عن المعنى وتطوره ، ويعتبر أولمان بداية الثلاثينيات أهم

[1]: ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، ص20.
[2]: المرجع نفسه، ص18.
[3]: فايز الداية، علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، ص 8
[4]: محمود السعران، علم اللغة، ص 237
[5]: ينظر المرجع نفسه، ص 238، 239

فترة في تاريخ السيمانتيك ، فقد شهدت نضوج العلم الجديد وشهدت توسيع الفجوة التي هددت بتمزيق وحدته[1].

كما ارتبط علم الدلالة في هذه الفترة بأسماء مثل Alfred ,Richards"، وأخرج الأولان عملا في علم المعنى تحت عنوان The maining of maining عام 1923، وحاولا فيه أن يضعا نظرية للعلامات والرموز، وقدما ستة عشر تعريفا للمعنى"[2].

واختلف الأمر في الولايات المتحدة الأمريكية ، إذ أن الدراسات الدلالية حققت نجاحا على يد الأنروبولوجيين والسيكولوجيين أكثر منها على يد اللغويين ، وقدموا للعا لم دراسات مقارنة لكثير من الحقول أو المجالات الدلالية، مثل : ألفاظ القرابة و أسماء الأمراض و أسماء الألوان ..**الخ**[3] .

أما المؤلفون الأوربيون فيبرز منهم أسماء كثيرة منها :

1- أولمان Olmen الذي أثرى المكتبة اللغوية بكتب متعددة في علم الدلالة ' أسس علم المعنى علم المعنى ، المعنى و الأسلوب، دور الكلمة في اللغة'.

2- ليونس Lyons والذي أصدر عدة كتب في علم اللغة منها: علم الدلالة التركيبي، علم الدلالة[4].

3-2 – اهتمامات العرب:

يعد البحث في دلالات الكلمات من أهم ما لفت اللغويين العرب و أثار اهتماماتهم ، والجهود و الأعمال اللغوية المبكرة تعتبر من مباحث علم الدلالة ، مثل : تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم ، الحديث عن مجاز القرآن ، ومثل التأليف في: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، إنتاج المعاجم الموضوعية ، معاجم الألفاظ و حتى ضبط المصحف بالشكل، يعد في حقيقته عملا دلاليا ، لأن تغيير ضبط الحركات يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة ، وبالتالي تغيير المعنى[5] .

أما ابن خلدون في مقدمته فيذكر علم أصول الفقه، وما يلزم دارسيه فيقول: "يتعين النظر في دلالة الألفاظ، وذلك أن استفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق يتوقف على

1: ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 23.
2: المرجع نفسه ص 23،24.
3: المرجع نفسه، ص 24.
4: المرجع نفسه، ص 28، 29.
5: المرجع نفسه، ص 20

معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة، ثم إن هناك استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام ، فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية"[1] .

يعد كلام ابن خلدون دليلا واضحا على وجود علم الدلالة منذ القديم وعلى اهتمام العرب به كونه حسب ابن خلدون أداة فاعلة للوصول إلى المعاني المبتغاة ، وعلى هذا الأساس نستطيع القول أن علم الدلالة يكتسي أهمية بالغة منذ زمن ، وكذا مكانة خاصة كونه يسلط الضوء ويحاول الوصول إلى المعنى مهما اختلف سياق الكلام ونوعه ، فيتعدى هذا العلم اهتمامه بالنص الأدبي ، إلى علم الأصول وغيرها من العلوم، وعلى هذا يمكن الاعتراف بشمولية علم الدلالة .

ويؤكد النقاد على أن علم الدلالة يملك جذورا ضاربة في تراثنا العربي قبل أن تتمخض الدراسات الغربية ، باعتباره علما قائما بذاته ،" فقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه 'العين' حين يبحث في تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر البنيوي الحرفي ، هو الرائد الأول لهذا الباب لأن مهمته كانت لغوية إحصائية ولكنها تشير إلى دلالة الألفاظ كما يفهمها المعاصرون بقصد أو غير قصد"[2]، ويرى عقيد خالد حمودي العزاوي أن الجاحظ قد تناول في كتابيه البيان والتبيين والحيوان مباحث لها ارتباط بعلم الدلالة، فقد تناول الدلالة السياقية وتكلم فيها عن مناسبة الكلام لمقتضيات المقام، يقول الجاحظ:" ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[3]، إذن هنا يتحدث الجاحظ عن الدلالة وأبعادها المخصصة لها دون أن تتعدى حدودها وتتجاوز مفهومها.

وتنوعت اهتمامات العرب بعد ذلك فخطت جوانب كثيرة من الدراسة الدلالية ومن ذلك:

-محاولة ابن فارس الرائدة في معجمه' المقاييس' ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها.

– محاولة الزمخشري الناجحة في معجمه 'أساس البلاغة' ، التفرقة بين المعاني الحقيقة والمعاني المجازية

– محاولة ابن جني ربط تقلبات المادة الممكنة بمعنى واحد.

---

[1]: محمود السعران، علم اللغة، ص 258، 259

[2]: عقيد خالد حمودي العزاوي، علم الدلالة، دراسة وتطبيقات، دار العصماء، دمشق، سنة 2011، ص 10

[3]: الجاحظ ، البيان والتبيين،1 المطبعة الرحمانية، القاهرة، 1932،ج1،ص 139

- البحوث الدلالية التي امتلأت بها الكتب مثل : المقاييس لابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ، الخصائص لابن جني......

- أبو منصور الثعالبي الذي نلمح أن منهج التنظير المتتابع متكاملا لديه في التنقل بين حقول الألفاظ الدلالية، فمن دلالة لغوية إلى أخرى مجازية إلى أخرى نقدية، مترقيا بذلك في اللفظ بالدلالة من صيغة إلى صيغة[1].

- عبد القاهر الجرجاني يعد من الذين أحسنوا في تحليل وتصنيف أقسام الدلالة، وعمل نقاد العصر الحديث على وضع مقاربة بين ما قدمه الجرجاني وما قدمته البحوث الحديثة ، وجدوا أنها متطابقة فقد قدم نظرية في النظم التي تكلم فيها عن الصيغة الفنية التي خلص إليها في شأن الدلالة، وقد كرس الجرجاني اهتماماته في نظرية النظم ، على العلاقة بين اللفظ والمعنى[2].

وحديثا ظهرت أعمال إبراهيم أنيس ، محمود السعران ، تمام حسان ، أحمد مختار عمروغيرهم ممن أثروا المكتبة اللغوية العربية.

4- علم الدلالة ومستويات البحث اللغوي:

4-1- علم الدلالة وعلم الأصوات:

إن طبيعة العلاقة بين جرس الكلمة ومعناها الذي تؤديه ، موضوع تطرق إليه العلماء والباحثون منذ وقت مبكر ، أي منذ مواجهتهم إعجاز القرآن الكريم، واستخراج الأحكام الشرعية واللغوية منه ، سواء من علماء الفقه و الأصول أو علماء اللغة والمفسرين، إدراكا منهم للدور الفعال الذي تؤديه الأصوات للوصول إلى المعاني المرادة من النص القرآني ، فدرسوا القيمة التعبيرية للأصوات، ومدى اتفاق المعنى مع جرس الحرف المختار ، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي من أوائل اللغويين الذين تنبهوا إلى العلاقة الكامنة بين جرس الأصوات ودلالاتها إذ جاء عنه قولهم: كأنهم- يعني الناطقين العرب- توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا ، فقالوا (صر)، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا (صرصر)[3] ،هذا يبين ترابطا وثيقا بين اللفظة والصوت فكلما تغير الصوت تغير معنى الكلمة، فاستمرارية النغمة تؤدي معنى مغايرا للنغمة المتقطعة.

"أما سيبويه فربط المصادر التي جاءت على وزن (الفعلان) بالاضطراب والحركة، مثل:

---

[1]: ينظر عقيد خالد حمودي العزاوي، علم الدلالة دراسة وتطبيقات، ص12

[2]: ينظر المرجع نفسه، ص 14

[3]: ينظر هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص50

(الغثيان، الغليان...)"[1] فالصوت عنصر مؤثر في الدلالة إذ تتغير هذه الأخيرة بتغير النبرة الصوتية، وابن جني منذ أكثر من ألف سنة استوعب فكر أسلافه في هذا الميدان ، وبنى عليه درسا متكاملا، فقد انطلق في دراسته و أبحاثه من الملامح التي رسمها الخليل وسيبويه ، فقال في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني): مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث باب عظيم واسع... من ذلك قولهم: خضم وقضم، فالخضم للأكل الرطب كالبطيخ ، وما كان نحوه من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها...[2]، فالخاء مرتبطة بالرخاوة والقاف بالصلابة والشدة، فتغير الحرف أو الصوت يؤدي إلى تغير في المعنى وفي الدلالة ، يقول الله تعالى:" فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ "[3] فالنضخ كما هو معلوم للماء، وفي الآية الكريمة وردت لفظة (نضاختان) بالخاء، فهي للدلالة على الشدة والقوة، إذن الحاء مرتبطة بالضعف، والخاء بالقوة.

ويرى بعض اللغويين أنه إذا حدث إبدال أو إحلال صوت ما، في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى أدى ذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى ، ويعرف هذا الإحلال الصوتي في علم اللغة الحديث ، بالتوازن التقابلي، إذ يحل فونيم محل آخر في كلمة ما، فتنشأ كلمة ذات معنى مختلف[4]. و الأمثلة في هذا الشأن كثيرة ومتنوعة ، ونحن هنا أردنا أن نبين تلك العلاقة الضرورية التي تربط علم الدلالة بعلم الأصوات.

4-2- علم الدلالة وعلم الصرف:

ينبغي أولا أن نعرف علم الصرف ونقف عند مفهومه اللغوي والاصطلاحي فنقول: جاء في شذا العرف في فن الصرف" الصرف ويقال له التصريف وهو لغة : التغيير ، ومنه تصريف الرياح أي تغييرها.

اصطلاحا: تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها ، كاسم الفاعل والمفعول، واسم التفضيل و التثنية والجمع إلى غير ذلك. وبالمعنى العلمي : علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء"[5].

[1]: ينظر هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص50
[2]: ينظر المرجع نفسه، ص 51
[3]: سورة الرحمان، الآية66.
[4]: عقيد خالد حمودي العزاوي، علم الدلالة، ص 26
[5]: أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت،2003، ص 15

وتتغير دلالة الألفاظ بتغير الصيغة الصرفية ، فلا يكفي لبيان معنى (استغفر) بيان معناها المعجمي المرتبط بمادتها اللغوية(غ ف ر) ، بل لابد أن يضم إلى ذلك معنى الصيغة وهي هنا وزن(استفعل)، أو الألف والسين والتاء التي تدل على الطلب[1]، فنجد في اللغة العربية لفظة (قطع) تفيد الفصل لكن لفظة (قطّع) بالتضعيف توحي بالمبالغة ، وتعدت هنا المعنى الأول إلى المعنى آخر، ومثل ذلك قوله تعالى في امرأة العزيز:" وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ "[2]، فقد جاء الفعل على صيغة (فعّل) بالتضعيف، ليتعدى مجرد الغلق البسيط ، إلى الغلق بإحكام وشدة ، ولا ننسى بذلك جهود ابن جني في هذا الشأن، حين وضع أبوابا للدلالة مثل (باب في قوة اللفظ لقوة المعنى)، وباب في (مناسبة الألفاظ للمعاني).

و إذا أخذنا مثلا الفعل كتب نستطيع أن نصيغ منه صيغا كثيرة منها ، الفعل المضارع يكتب، الأمر اكتب، اسم الفاعل كاتب، صيغة المبالغة كتاب، اسم التفضيل أَكْتَبُ، واسم الزمان والمكان مكتب، واسم الآلة مكتاب، فكل تحرك في معنى اللفظ المشتق عن المعنى الحرفي ينقله إلى الاشتقاق الدلالي[3]، فكلمة (كاتب) بمعنى أديب أو محرر في صحيفة، تحركت فيها دلالة الكلمة عن مجرد الخط بالقلم ، ودخل فيها معنى المفكر والمبدع ، وما إلى ذلك.

4-3- علم الدلالة وعلم النحو:

أعطى اللغويون منذ عهد مبكر عناية خاصة بوظائف النحو ومعانيه، فقد أكدوا أن الأنظمة اللغوية وقوانينها عنصر حاسم في تحديد الدلالة اللغوية وفهم المعنى ، لأن انشغالهم كان منصبا حول النص القرآني بغية فهمه وفك ابهاماته، فتغيير مكان الكلمات داخل الجملة يؤدي بالضرورة إلى تغيير المعنى أي تغيير الوظيفة النحوية، فهناك فرق مثلا بين قولنا:' ضرب الأستاذ التلميذ' و 'ضرب التلميذ الأستاذ' ، فتغير كلمة أستاذ داخل الجملتين أدت إلى تغير معناها ، ففي المثال الأول عبرت عن الفاعل ، والمثال الثاني عبرت عن المفعول به ، ولو لم يؤد تغيير مكان الكلمات في الجملة إلى تغيير المعنى ، ما كان هناك فرق بين قولك: طارد الكلب القط وطارد القط الكلب [4] ، ويبين سيبويه علاقة ظاهرة ولازمة بين علم الدلالة والنحو عندما عقد باب المسند

[1]: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 13
[2]: سورة يوسف، الآية23 .
[3]: ينظر عقيد خالد حمودي، علم الدلالة، ص 28
[4]: ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 13

والمسند إليه، مبينا من خلاله أن بناء الكلام على أصل معين ومن خلال نظام نحوي معين، ومن ثم الانتقال من هذا الأصل إلى توليد نماذج فرعية كثيرة ، وما يطرأ على الصور الأصول والفروع من متغيرات عارضة، تقتضيها الصناعة النحوية، كل ذلك لغاية المعاني والدلالات[1] ، هكذا يتبين في هذا الباب تشكل العلاقات التركيبية والدلالية.

وتعدت نظرة علماء العربية وظيفة القواعد النحوية وترتيب الألفاظ وفق تلك القواعد لتأدية المعنى إلى العلاقة بين مفردات التركيب، قال السكاكي:"اعلم أن علم النحو هو أن تنحو إلى معرفة التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية وأعني التركيب، تقديم بعض الكلم على بعض ورعاية ما يكون من الهيئات "[2]، فلا نتوصل إلى المعاني المرادة إلا بتفحص الجمل وتركيبها وما مدى حدوث التقدم والتأخير فيها ، لأن الدلالات تتأتى من صورة خاصة في التأليف فلابد أن يكون لكل كلمة تعلق بالأخرى ، وهذا ما يعرف بالإسناد ، فقد ارتبط النحو بالإسناد كما يلاحظ في كتاب سيبويه " فالإسناد دلالة تركيبية في العربية الفصحى، وهو إما إسناد في الجملة الفعلية أو الاسمية، وأن القاعدة العامة التي تحكم تركيب الجملة أن كل علاقة تزيد في الجملة على علاقة الإسناد، إنما ينشئها المتكلم للبيان وإزالة الإبهام وغموض قد يعتري المعنى الدلالي للجملة، وإن لم ينشئ المتكلم تلك العلاقة"[3]، لأن الأساس هو الوصول إلى المعاني ولا يتأتى ذلك إلا بحسن التركيب والتأليف ، وهذا ما يطلق عليه الدلالة التركيبية أو حديثا ' علم دلالة الجملة' ، أو 'علم الدلالة التركيبي' ، وهو العلم الذي يهتم ببيان معنى الجملة أو العبارة، وقد بدأ بحث دلالة الجملة مواكبا لوضع علم النحو العربي[4]، وما يؤكد كلامنا ما تداولته الروايات حول أسباب نشأة علم النحو ، وذلك الانتشار الواسع للحن، فما روي أن ابنة أبي الأسود الدؤلي التي لحنت بحضرته ، فصوب لها خطأها ، ووصل اللحن حتى إلى قراءات القرآن الكريم في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، فاستنكر اللحن كثيرا، وسبب انتشاره راجع لاختلاط العرب بالأعاجم ، وهذا ما عجّل في وضع علم النحو، لحماية اللسان العربي من اللحن وإفساد المعاني والدلالات التي يحملها الكلام العربي ،

[1]: ينظرهادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص 109
[2]:عقيد خالد حمودي، علم الدلالة، ص 45
[3]:المرجع نفسه، ص نفسها
[4]: ينظر عقيد خالد حمودي، علم الدلالة، ص45

ومن أمثلة اللحن الذي وقع، في قراءة آية من سورة التوبة" أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ"[1] بجر لفظة 'رسولِه' ، وهي بهذا المعنى معطوفة على المشركين وهذا باطل.

والدلالة النحوية رآها بعض اللغويين في تغيير المعنى بين الجملة الفعلية والاسمية ، فمثلا حين نقول في الجملة الفعلية : قام محمد ، والاسمية: محمد يقوم ، فالثانية تعطي توكيدا لا نجده في الأولى ذلك يأتي من إسنادها الفعل للفاعل مرتين ، مرة إليه وهو الاسم الظاهر ، ومرة إلى ضميره المستتر أي التوكيد الحاصل في المثال الثاني 'محمد يقوم' ، كان بإسناد الفعل إلى محمد مرتين ، مرة 'محمد،يقوم' وهذا اسم ظاهر في الجملة (محمد) والثانية ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على(محمد)، وطبعا الإسناد مرتين أقوى في الدلالة ، والأمثلة كثيرة، بفعل ما أوجده الجرجاني في نظرية النظم[2] .

وكما رأينا آنفا أن الإسناد عنصر رئيس في الجملة، هو الذي يحقق المعنى المراد كما عبر عنها عبد القاهر الجرجاني بقوله:" لكل كلمة مع صاحبتها مقال"، ويقول في باب الفصاحة والبلاغة: "فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة، وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة وتروقك ، وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر"[3].

فالألفاظ لها علاقة بما قبلها وما بعدها لكون التركيب اللغوي يشتمل مجموعة من العلاقات للوصول إلى الدلالة السياقية.

4-4 علم الدلالة والمعجم:

يعد المعنى المعجمي تلك الرابطة والعلاقة بين علم الدلالة وعلم المعاجم، والمعنى المعجمي يتصل اتصالا وثيقا بعلم الدلالة وعلم المفردات وعلم المعاجم، فكل كلمة من كلمات اللغة العربية تحمل دلالة معجمية مستقلة عما توحيه أصواتها أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الأصلية، ويطلق عليها الدلالة الاجتماعية ، وعندما تنتظم الكلمة ضمن الجملة تضاف إليها كل الدلالات الأخرى ولا يتم الفهم إلا بالوقوف عندها جميعها ، والتصنيف المعجمي ضرب من النشاط الدؤوب للحفاظ على جوهر اللغة العربية الفصحى ، وبه أخذت تتكامل صورة مفردات

---

[1]: سورة التوبة، الآية03.

[2]: ينظر عبد العزيز أحمد علام، في علم اللغة العام، مكتبة المتنبي، ط1، السعودية، 2006، ص262

[3]: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص38، 39

اللغة على نحو يناظر ما كان من إقامة أركان النحو والصرف، كل هذا بغية حماية اللغة العربية من الوقوع في اللحن والخطأ، والتفقه في القرآن الكريم استدعى عناية بالغة بالغريب وشرحه حفاظا على النص القرآني ، وتنوعت هذه المعاجم وتفرقت واهتم بعضها بالألفاظ واختلف حسب ترتيب الألفاظ من حيث المخارج الصوتية وبمقاييس صرفية ، وكذلك الإعلال والتضعيف ، وبأساليب اعتبار تقاليب الأصل الواحد ، واهتمت معاجم أخرى بالموضوعات أي حرصت على ترتيب مجموعة من الألفاظ و إخضاعها إلى سياق معين وقد كان هذا التراث اللغوي العربي عندما وضع جامعوا اللغة ما يسمى بالرسائل اللغوية مثل كتاب الإبل وغيرها، وهكذا ظهرت علاقة متينة بين علم المعاجم وعلم الدلالة، الذي يعنى بالمعنى الذي تحمله اللفظة ، فهذا التصنيف الموضوعي أكبر دليل على وجود علاقة تعرف بالمعنى المعجمي [1] .

"وقد عرّف بعض علماء اللغة علم الدلالة بأنه ذلك الفرع من علم اللغة الذي يقوم بدراسة المعنى المعجمي" [2] .

رغم أن هذا التعريف يكاد يحصر وظيفة علم الدلالة في أنه يهتم بدراسة المعنى المعجمي لوحده، إلا أنه استطاع أن يبين لنا علاقة لازمة بين علم الدلالة والمعجم.

إذن يمكننا اعتبار علم المعاجم جزءا من علم الدلالة، كون علم الدلالة يهتم بدراسة المعنى على صعيدي المفردات والتراكيب، ولا يمكن لعلم الدلالة دراسة المعنى بعيدا عن المعاني الرئيسة أي المعاني المعجمية، ثم يتجاوز علم الدلالة ذلك، إلى معان نحوية ثم معان اجتماعية.

[1]: ينظر فايز الداية، علم الدلالة العربي، الصفحات من 204إلى210

[2]: خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ط1، بيت الحكمة2009 ، ص 95.

5- علاقة علم الدلالة بالعلوم الأخرى:

لم تكن نشأة علم الدلالة نشأة مستقلة عن باقي العلوم اللغوية الأخرى، فإذا عدنا إلى تاريخه نجده جزءا لصيقا بعلم اللسانيات ، الذي كان يهتم بدراسة اللسان البشري ، إلا أن " تجاهل علماء اللسان دلالة الكلمات، هو الذي دفع بعض العلماء اللغويين إلى البحث عن مجال علمي يضم بحثا في جوهر الكلمات ودلالاتها وهذا ما أشار إليه 'برييل'.[1]

فعلماء اللسان ركزوا بحوثهم في الجوانب الصورية للغة، أي شكل الكلمات وتجنبوا الخوض في استبطان جواهر الكلمات ومعانييها، الذي أصبح حديثا من اهتمامات علم الدلالة، ولم يكن شأن الدلالة يعني اللغويين فقط، بل تجاوز الاهتمام ذلك وتعدد وأرق العلماء والباحثين على اختلاف تخصصاتهم ومنطلقاتهم ،" فاهتم بها الفلاسفة والمناطقة وعلم النفس وعلماء الاجتماع، وغيرهم"[2] وارتبط علم الدلالة ارتباطا وثيقا بالفلسفة والمنطق باعتبار أن إرادة المعنى وتحصيل الكلام كما هو معروف هو منتهى الكلام، " إذ لا يعقل أن يتكلم متكلم وهو لا يعني، أو لا يربط حبل التواصل بغيره وهو لا يريد أن يدل "[3] لذلك كان الاهتمام كبيرا بعلم الدلالة، والمعنى أصبح محور اهتمام جميع العلوم.

5-1- علم الدلالة و الفلسفة والمنطق:

لقد لمحنا فيما سبق إلى علاقة وطيدة ربطت علم الدلالة بالفلسفة والمنطق ، بل إن الفلاسفة والمناطقة اهتموا اهتماما كبيرا بعلم الدلالة حتى عد من اختصاصهم في تلك الحقبة، ليستقل بعد ذلك شيئا فشيئا ويصبح موضوعا من مواضيع علم اللغة ، " فالفلسفة تقوم بشرح ما يتوصل إليه علم الدلالة و ربما كان علم الدلالة إجابة عن سؤال للفلسفة"[4].

هذا لكون الفلسفة أم العلوم تمتد اهتماماتها لتشمل كل النتائج التي تتوصل إليها العلوم الأخرى، وتعكف الفلسفة على شرحها وتحليلها ، " فقد ظلت دراسة جانب المعنى من اللغة حكرا على الفلاسفة وعلماء الإناسة لعقود طويلة، قبل أن يستقل في العصر الحديث، ويصير شأنا لغويا له أهله ودارسوه"[5]، هكذا إذن كانت الفلسفة السباقة إلى دراسة المعاني وتحليلها، لذا نستطيع القول

---

[1]: ينظر منقور عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومباحثه، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001، ص 19

[2]: خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، 2009، ص 88

[3]: نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة،دار الهدى، عين مليلة ن الجزائر، 2007، ص 48.

[4]: خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص 15

[5]: نواري سعودي، الدليل النظري في علم الدلالة، ص 54

أن اهتمامات علم الدلالة كانت من اختصاص الفلاسفة قديما، إذن هنا يذوب الفرق بين الفلسفة وعلم الدلالة كونهما اهتما بموضوع واحد وهو دراسة المعنى، وهذا ما يبين بوضوح قدم العلاقة بين الفلسفة وعلم الدلالة ، واليونان كما هو معروف تعد مهد الفلسفة والمنطق ، واهتماماتهم بعلم الدلالة ينبئ ولا شك بالعلاقة القوية والمتينة التي تربط الفلسفة بعلم الدلالة، وأبرز دليل على ذلك تلك التساؤلات والإشكالات التي طرحها فلاسفة ذلك العصر والمتعلقة بالمعنى، ما هي شروط العدالة؟ وماذا تعنون بهذه الكلمة المجردة؟ وماذا تعنون بكلمة الشرف والفضيلة؟ والأخلاق الوطنية؟[1] فهذه ولاشك إشكاليات متعلقة بالمعنى، بمعاني المصطلحات المطروحة و أبعادها وهذا ما يكون من صميم واختصاص علم الدلالة.

"كما تساءل فلاسفة اليونان عن كون العلاقة بين شكل الكلمة ومعناها ضرورية أم لا؟"[2]

هنا تتضح علاقة تكاملية بين علم الدلالة والفلسفة والمنطق أساسها المعنى.

5-2- علم الدلالة وعلم النفس وعلم الاجتماع:

يأتي علم النفس في المرتبة الثانية بعد الفلسفة من حيث اهتمامه بالدلالات وبالمعنى، واهتم علم النفس بمعالجة الجانب الذاتي للغة، نتيجة اهتمامه بالإدراك ، باعتبار الإدراك ظاهرة فردية، فقد طور علماء النفس وسائل عدة للوصول إلى معرفة درجة التفاوت والاختلاف بين الناس في إدراك الكلمات ، أو في تحديد ملامحها الدلالية "كذلك يهتم علم النفس بكيفية اكتساب اللغة، عملية وتعلمها ودراسة السبل التي بها يتم التواصل البشري وغير البشري عن طريق اللغة"[3] فعملية التواصل أساسها التفاهم أي عملية تتطلب وجود معنى لكي يتم التواصل، واهتمامات علم الدلالة لا تقل شأنا عما يبحث فيه علم النفس ، وأبعد من ذلك نجد علم الدلالة يهتم بالناس وعاداتهم الاجتماعية وطرق الاتصال القائمة بينهم والآلات والوسائل المستخدمة في ذلك، "حيث يتجاوز اللغة بوصفها مظهرا فرديا منعزلا ، إلى كونها ظاهرة اجتماعية تحمل مظهر الاستعمال الفردي المطبوع بطابع الجماعة اللغوية، فتحدث عملية التفاعل اللغوي ولا تتحقق إلا في المجتمع، باعتبار اللغة أداة تواصلية ، والفرد حيث يتلقى اللغة فهو يتلقى معها ثقافة المجتمع وحضارته ودينه وعاداته وتقاليده"[4] ، تنشأ

---

[1]: ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 15

[2]: خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص 16

[3]: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 15

[4]: المرجع نفسه، ص15

بهذه الصورة علاقة تكاملية بين علم الدلالة وعلم النفس وعلم الاجتماع فكل طرف يصب اهتمامه على جانب المعنى، ثم بواسطة المعنى الذي يختلف من شخص لآخر نتيجة ارتباطه بالإدراك فكل فرد وطريقة إدراكه للموجودات وللمعاني وهكذا تتحقق العملية التواصلية في المجتمع.

5-3- علم الدلالة والحقائق البيولوجية والفيزيائية:

يتوجه جزء كبير من اهتمامات علم الدلالة إلى العمليات العضوية المركبة في الفم، وفي أعضاء النطق بالنسبة للمتكلم، ويتتبع ما يحدث من اهتزازات هوائية تلتقطها أذن السامع وهو يسير وراءها أبعد من ذلك ليرى كيف تتحول إلى إشارات عن طريق الجهاز العصبي، وكيف يتلقى العقل هذه الإشارات من خلال الأعصاب الممتدة من الأذنين، ويترجمها بعد ذلك إلى الفكرة التي يعنيها المتكلم[1]، و بهذا لا يستطيع الدرس الدلالي أن يستغني عن الكثير من الحقائق البيولوجية والفيزيائية والفيزيولوجية، هكذا يتبين امتداد علم الدلالة وعلاقاته.

[1]: ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 16

الفصل الأول

التصنيف الموضوعي بين التراث اللغوي العربي والنظريات اللسانية الغربية

ارتبط العرب ارتباطا وثيقا بلغتهم و أعجبوا بها إعجابا جعلها موضع فخرهم ومباهاتهم، والتاريخ الأدبي يثبت ذلك، من اهتمام بالغ بالشعر وظهور الأسواق الشعرية، ودعم ذلك الافتخار نزول القرآن الكريم على رسولنا "قرآنا عربيا" تحدى البلغاء، وقد تناول العرب لغتهم بالدراسة من فجر حضارتهم، فرويت عن الرسول والصحابة الأقوال والأحكام، ونسب إلى بعض الصحابة والتابعين كتب في نواح خاصة، ثم انتشرت وازدهرت هذه الدراسات اللغوية" حتى إننا إذا استثنينا الصين لا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته، وبشعوره المبكر، بحاجته إلى تنسيق مفرداتها، حسب أصول وقواعد غير العرب" [1] ويروى عن الصاحب بن عباد، أن أحد الملوك أرسل إليه طالبا منه القدوم فأجابه أنه يحتاج ستين جملا ينقل عليها كتب اللغة التي عنده،[2]والجدير بالذكر أن القرآن الكريم عند نزوله بلغة العرب وعلى مقتضى أساليبهم، فهمه العرب على الوجه الصحيح، وأدركوا إعجازه بالقياس إلى قدرتهم البيانية الفائقة، ولم يشعروا حينها بحاجة ماسة إلى العودة والرجوع إلى مصدر يفسر لهم ما يقرؤون أو يسمعون من آيات الذكر الحكيم، إلا ما كان النبي (ص) يبينه ويوضحه ويفسره، إلا أن تعدد القبائل العربية ووجود ألفاظ تختص بها قبائل دون أخرى، دعت أحيانا إلى السؤال عن بعض المعاني، من ذلك قوله ما روي عن عمر بن الخطاب حين قرأ قوله تعالى في سورة (عبس،31):"وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا"[3]، قال : " وما الأبّ ثم قال: ما كلفنا وأمرنا بهذا وذلك لأن الأبّ هو المرعى للدواب، ليس في لغة قريش و ألفاظه[4].

والقرآن الكريم نزل بلسان العرب جميعا وهكذا مضى نحو نصف قرن على نزوله ولم يشعر العرب بحاجة إلى جمع اللغة لفهم ألفاظ النص القرآني، غير أنّ اتساع رقعة الدولة الإسلامية بسبب الفتوح أدّى إلى الاختلاط والسؤال عن معاني بعض الألفاظ الموجودة في القرآن الكريم بدليل ما فعله نافع بن الأزرق ونجدة بن عريم وقد سمعا بقدرة بن عبّاس رضي الله عنهما، على تفسير القرآن الكريم وفهم ألفاظه فوفدا عليه يسألانه عن غريب القرآن حتى بلغت أسئلتهما مئتين وخمسين سؤالا من

[1]: حسين نصار، المعجم العربي – نشأته وتطوره- دار مصر للطباعة، الجزء الأول-ص10.
[2]: ينظر، المرجع نفسه، ص نفسها.
[3]: سورة عبس، الآية 31.
[4]: ينظر، محمد علي سلطاني، التذكرة في المعاجم العربية، ط1، دار العصماء، دمشق سوريا، 2010،ص 6

بينها قوله:" يا ابن العباس أخبرني عن قول الله عزّ و جل" إن الإنسان لربه لكنود "، قال: الكفور النّعم، قال: أتعرف العرب ذلك، قال : نعم، أما سمعت الشاعر وهو يقول:

"شكرت له اليوم العكاظ نواله * ولم أك للمعروف ثمّ كنودا"[1]**

وقد نتج عن اختلاط العرب بغيرهم، والتقائهم و إخوتهم في ظل الإسلام الحنيف وجود ظاهرة اللحن الذي انتشر وهدد كبار العرب وفصحائهم، إذ أصبحت الفصاحة والسلامة من اللحن مما يمتدح به، فكثيرا ما وصف الشعراء ممدوحيهم، بذلك يقول رؤبة مادحا قاضي البصرة (بلال بن أبي بردة بن موسى الأشعري):

إذا الدّواهي وامتراس الألسن * فاجوك أو جالوا بأمر معلن**

فزت بقدحي معرب لم يلحن * مستلهم القصد مبين الأبين**

ويذمّ الشاعر باللّحن (خالد بن عبد الله القسري) فيقول:

بل السراويل من خوف ومن وهل * واستطعم الماء لما جدّ في الهرب**

وألحن الناس كل الناس قاطبة * وكان يولع بالتشديق في الخطب[2]**

و أهم ما ميز هذه الفترة، الشعور بالحنين إلى الماضي، إذ أن العرب آنذاك أعادوا ما كان متبعا في الجاهلية إذ تذكروا أمجاد لغتهم وحرصوا عليها، وأرسلوا أبناءهم إلى البادية التي مازالت موطن الإفصاح والإعراب، لتنشئهم على الفصحى بعيدا عن مواطن اللّحن الذي عم الحضر كما فعل معاوية مع ابنه يزيد وعبد الملك بن مروان مع ابنه سليمان[3].

وعرفت هذه المرحلة –القرن الثاني الهجري- رحلات العلماء إلى البادية لمعايشة أهلها، والسماع لهم وأخذ اللغة عنهم وأبرز هؤلاء العلماء، أبو عمرو بن العلاء، الخليل، ويونس والكسائي، فحدد هؤلاء العلماء أوّلا القبائل التي يأخذون عنها اللغة وهي القبائل الموثوقة غير المتاخمة لغير العرب " فلم يأخذوا عن (لخم، وجذام) لمجاورتهم أهل مصر والقبط و(قضاعة، وغسان،وإياد) لمجاورتهم أهل الشام، و(تغلب) لاختلاطهم بغير العرب و(اليمن) لمخالطتهم الهند فاتجهوا إلى القبائل الفصيحة

[1]: محمد سلطاني، التذكرة في المعاجم العربية، ص06

[2]: ينظر، عبد العزيز أحمد علام،في علم اللغة العام، ص 181-285

[3]: ينظر، المرجع نفسه، ص185

مثلك قيس، تميم، أسد، هذيل..وقد طبق اللغويون في هذه الدراسة الميدانية أحدث المناهج اللغوية الحديثة وهو(المنهج الوصفي) [1]

ولم تكن عملية جمع اللغة الإحاطة بكل الألفاظ التي عرفتها القبائل العربية، وإنما مراعاة تسجيل اللغة الفصحى والابتعاد عن الألفاظ والصيغ غير الفصيحة " الثابت الذي لا جدال فيه أن الذين دونوا اللغة العربية وقعدوها لم يكتفوا باللغة الأدبية، الشعر والخطابة بل أضافوا لذلك ما جمعوا من الأعراب إذ قصدوهم في بواديهم وأكثروا من النقل عنهم والتسجيل لكلامهم حتى أصبحت كلمة– الفصاحة – إذا أطلقت انصرف الذهن إلى لغة الأعراب تركيبا ومعجما وبلاغة وأسلوبا"[2]، هكذا إذن ركز اللغويون عملهم على القبائل التي تقترب اقترابا كبيرا من الفصحى، وكما أشرنا من قبل، لعل أهم العوامل التي عجلت في الاهتمام باللغة والتأليف اللغوي والمعجمي: القرآن الكريم ومشكلة فهمه،" الفصحى كان ينبغي أن تقعد على أساس هذه اللغة الأدبية التلقائية التي نزل بها القرآن والحديث وكتب الشعر ومأثور كلام العرب"[3]

إذن هكذا يبدأ التأريخ للمعجم العربي منذ مواجهة أصحاب الرسول (ص) مشكلة فهم النص القرآني، ومهد لفكرة المعجمية كذلك جملة من الظروف الاجتماعية والثقافية أهمها حياة البداوة خلال القرن الثاني الهجري التي بدأت تزحف إليها حياة الحواضر، فما كان منهم إلا جمع وتدوين رسائل لغوية تمتاز بطبعها البدائي البعيد عن النسق والترتيب وسرعان ما سيتم تصنيفها في شكل موضوعات ثم تمحيص هذه المادة عن طريق عزل الفصيح منها مقابل اللين باعتماد مقاييس يحددها العلماء متمثلة في مقاييس جغرافية وزمنية ولعل هذه العناية التي أولاها العرب في جمع الألفاظ سيحافظ على المخزون اللغوي العربي ويبعده عن الحل والتحريف، ويستعمل كمربع أساس في تفسير القران الكريم والسنة الشريفة وكل هذا مهد إلى وضع معاجم في التراث العريق.

هكذا كان ميلاد حركة علمية في صميم وأفق الدراسات اللغوية عند العرب إنها حركة (جمع اللغة)، فبعد أن أنهى علماء العربية مرحلة أخذ اللغة من تلك القبائل الفصيحة تنطلق إشارة البدء في دراسات أخرى هي : الكتب والرسائل والمعاجم.

وقد مهد لهذه الدراسات اللغوية أمور نوجزها فيما يلي:

---

[1]: ينظر، عبد العزيز أحمد علام، في علم اللغة العام، ص 182.

[2]: عبد العلي خيري – قضايا المعجم العربي، ص 48.

[3]: المرجع نفسه، ص 75-76.

1- الحركة العلمية التي قامت من أجل توضيح آيات القرآن الكريم ومحاولة فهمها ووضع حدا للحن الذي انتشر آنذاك فاهتم العلماء بتفسير غريب القرآن، وقد ابتدأها ابن عباس على أرجح الأقوال، وألف بعده أبّان بن تغلب بن رباح البكري كتابه" الغريب في القرآن" كما ألف فيه أيضا مؤرج السّدوسي اللغوين يحي بن مبارك اليزيدي، النضل بن شميل، الأصمعي، الأخفش، محمد بن سلام الجمحي، ابن قتيبة، وغيرهم ثم تتابع التأليف في هذا المجال في القرون الموالية[1].

2- الحركة العلمية التي اهتمت بغريب الحديث وأسفرت عن كتب في غريب الحديث " إذ يذكر أبو السعادات بن الأثير في مقدمة كتابه (النهاية في غريب الحديث) أن أبا عبيدة معمر ابن المثنى هو أول من ألف في غريب الحديث ولم يصل إلينا كتابه، تلاه النضر بن شميل، حيث يقول ابن الأثير : "ثم جمع أبو الحسن النّضر ابن شميل المازيني بعده كتابا في غريب الحديث أكبر من كتاب أبي عبيدة وشرح فيه وبسط على صغر حجمه ولطفه" [2]، ثم توالت بعد ذلك المؤلفات في غريب القرآن من أصحابها: أبو عمر الشيباني والأصمعي و أبو زيد الأنصاري، أبي عبيد القاسم ابن سلام وغيرهم.

3- ظاهرة التدوين؛ فقد شهد القرن الأول وبداية الثاني نشأة العلوم العربية والإسلامية وتدوين معظمها كالفقه، الأصول، علوم القرآن، الحديث، النحو واللغة.

وقد تحصل لدى هؤلاء الرواة والنحاة وفي مقدمتهم أبو عمرو بن العلاء، أبو مالك بن كركرة وأبو خيرة صاحب كتاب (الحشرات)، والخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وغيرهم حشد هائل من الروايات اللغوية، كانوا يحسون دائما بالحاجة إلى تسجيلها وتدوينها، وقد روى أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء أستاذ الخليل بن أحمد أن دفاتر أبي العلاء كانت تصل إلى سقف البيت، فأحرقها وتفرغ للعبادة[3]، وهذا يبين اهتمام أبي عمر وولوعه بجمع المفردات وضبطها وحفظ شواهدها وتدوين ذلك في جذاذات ودفاتر ملأت بيته، وهي لاشك مادة المعجم العربي التي اجتمعت لإمام اللغويين والنحاة، قبل أن يكتب كتاب واحد أو تنشأ رسالة ذات بال في غريب القرآن أو الحديث، ولكنه بكل أسف أحرقها زهادة وتنسيكا، إلا أنه لم يستطع أن يحرق محفوظ تلاميذه

[1]: ينظر، عبد العزيز أحمد علام، في علم اللغة العام، ص 186

[2]: محمد سلطاني، التذكرة في المعاجم العربية، ص 08

[3]: ينظر، يسرى عبد الغني عبد الله، معجم المعاجم العربية، ط1: 1991، دار الجيل، بيروت، ص 33.

منها وما أكثرهم وفي مقدمتهم الخليل، وهذه اللبنات هي التي مكنت الخليل من التفكير في وضع معجم يستودعه ما تحصل لديه من المادة اللغوية.

كما اهتم اللغويون بتأليف بعض الكتب التي حاولت أن تضع أسس وضع معجم، يستودعه ما تحصل لديه من المادة اللغوية حدا للفروقات الموجودة حول بعض المعاني والألفاظ بين القبائل منها كتب يونس بن حبيب، أبي عمرو الشيباني، الأصمعي..

وقد نوهنا سالفا على أن مرحلة التأليف في غريب القرآن والحديث مهدت إلى نشاط الحركة العلمية واللغوية، ها نحن نصل إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة رحيل علماء اللغة وانتقالهم إلى البوادي لمشافهة الأعراب وجمع المادة اللغوية من مصدرها وتصنيفها في مواضيع وإصدارها في رسائل تضم مفردات متعلقة بخلق الإنسان والحيوان والنبات والحرب والأسلحة وكانت تحمل عناوين مثل : كتاب الخيل، كتاب الإبل، كتاب الطير، وهي بمثابة معاجم مختصة يصنفها عدد غير قليل من أئمة اللغة كالكيسائي والأصمعي[1]، وسنبين بعد هذا التمهيد أهم المراحل التي مرت على تأليف المعجم العربي.

مراحل تأليف المعاجم في الثقافة العربية:

مرّ المعجم العربي بمراحل متعددة في تطوره حتى بلغ ما هو عليه الآن ولم يطلق عليه اسم "معجم" في مراحله الأولى، وانطلاق المعجمية العربية ارتبط بالعناية بالقرآن الكريم ومحاولة الوقوف عند غريبه، والمقصود بغريب القرآن أو الحديث ؛ اللفظ الغامض، البعيد الفهم " كما أن الغريب من الناس هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل" [2]، وكان أول كتاب في غريب القرآن لعبد الله بن عباس الملقب بحبر الأمة وترجمان القرآن، وغريب الحديث، وأسفرت عن كتب في غريب الحديث" إذ يذكر أبو السعادات ابن الأثير في مقدمة كتابه (النهاية في غريب الحديث) أنّ أبا عبيدة معمر ابن المثنى هو أوّل من ألف في غريب الحديث ولم يصل إلينا كتابه، تلاه النّضر بن شميل المازني بعده كتابا في غريب الحديث أكبر من كتاب أبي عبيدة وشرح فيه وبسّط، على صغر حجمه" [3].

ثمّ توالت بعد ذلك المؤلفات في غريب القرآن، من أصحابها : أبو عمرو الشيباني والأصمعي وأبو زيد الأنصاري، أبي عبيد القاسم بن سلاّم..إلخ وتلت هذه المرحلة، مرحلة أخرى عرفت

[1]: ينظر، أحمد الشرقاوي إقبال، معجم المعاجم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987ص 124.

[2]: المرجع نفسه،ص نفسها.

[3]:محمد علي سلطاني، التّذكرة في المعاجم العربية، ص 08

بمرحلة التدوين وشهدت نشأة العلوم العربية والإسلامية وتدوين معظمها كالفقه، الأصول، علوم القرآن، الحديث، النحو، وألف بعد ذلك أبّان بن تغلب بن رباح البكري كتابه" الغريب في القرآن" كما ألف فيها أيضا : يحي بن المبارك اليزيدي، النّضل بن شميل، الأصمعي، الأخفش، محمد بن سلام الجمحي، ابن قتية... وغيرهم.

هذه الأرضية أعطت انطلاقة لحركة التأليف التي توسعت وتطورت، وتضاعفت جهود اللغوين في دراساتهم اللغوية واهتموا بمتن اللغة ومفرداتها فوضعوا كتبا في المصطلحات الفقهية، وحاولوا إعطاء مفاهيم فقهية بعيدة عن المعاني البسيطة التي كانت متداولة في الجاهلية مثل : الصلاة التي كان معناها الدعاء، والزكاة بمعنى الطهارة، لكنهم أعطوها مفاهيم جديدة بمجيء الإسلام والبحث في معاني القرآن الكريم، وأصبحت تلك المصطلحات فرائض وعبادات بطرائق معروفة، وظهرت بعض الكتب في هذه الفترة تعد بمثابة معاجم في هذا الميدان منها:(الزّاهر في غرائب ألفاظ الإمام الشافعي) للأزهري (المغرب في تفسير المعرب) للمطرزي، (تهذيب الأسماء واللغات) النووي...وغيرها.

أما المرحلة الثّانية فتميزت برحيل علماء اللّغة على البادية لمشافهة الأعراب وجمع المادة المعجمية من مصادرها الأصلية وتصنيفها في مواضيع و إصدارها في رسائل تضم مفردات متعلقة بخلق الإنسان والحيوان والنبات والحرب والأسلحة، وكانت تحمل عناوين مثل: كتاب الخيل، كتاب الإبل، كتاب الطير، وهي بمثابة معاجم مختصة يصنفها عدد غير قليل من أئمة اللغة مثل الكيسائي والأصمعي .. ولم تحمل هذه المؤلفات كلمة معجم وإنما –كتاب-.

وتتسم المرحلة الثالثة بظهور المعاجم العامة المتكاملة وتؤرخ عادة بكتاب" العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي و " البارع في اللّغة " للمفضل الظبي، و"جمهرة اللغة " لابن دريد " تهذيب اللغة" لأبي منصور الأزهري، والجدير بالذكر في هذه المرحلة وما تلاها أنّ المعجميين العرب فضلوا إطلاق اسم علم على معاجمهم مثل المحيط، والمعباب، والقاموس، ولا نجد كلمة معجم في عناوين مثل التصانيف إلا في أواخر القرن الرابع الهجري في "المعجم استعجم من أسماء البلاد و المواقع" لأبي عبيد البكري، وهو معجم خاص مختص وقد استمر هذا التقليد في إعطاء المؤلفين اسم علم لمعجمهم حتّى النهضة العربية الحديثة، فأصدر بعد ذلك بطرس البستاني معجمه " محيط المحيط" ومختصره "قطر المحيط" ونشر لويس معلوف معجمه "المنجد"، هكذا إذن يتبين اهتمام الثقافة العربية الحديثة بقضايا المعجم ويظهر ذلك جليّا في انفراد اللغويين اللبنانيين واهتمامهم اهتماما

خاصا بالمعجم العربي تأليفا ونقدا [1] وتميّز اللبنانيون بريادتهم لهذا النوع من البحث اللغوي حيث دارت الحركة المعجمية في لبنان وغيره من الأقطار العربية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حول المحاور التالية:

التنبيه إلى أخطاء المعجميين العرب القدامى سواء بما تعلق بترتيب الكلمات وشرح معانيها واستدراك ما فات المعاجم العربية من كلمات، ومحاولة وضع معجم عربي حديث ينمي المعاجم العربية القديمة ويطورها ويكون وافيا بحاجيات العصر الحديث ومقتضياته وقد صاحب هذا حركة نشر واسعة للمعاجم[2].

وتابع مجمع اللّغة العربية بالقاهرة هذه المسيرة في البحث عن المعجم العربي الحديث يتجاوز نقائض المعاجم العربية القديمة ويجعلها مواكبة للحياة العصرية، ففي سنة 1970 أصدر الجزء الأوّل من المعجم الكبير، وصدر الجزء الثاني منه في بداية الثمانينات، وكانت مادته من الشعر والنثر والحديث الشريف والأقوال المشهورة والمأثورة، واهتم بالألفاظ الحديثة نتيجة التطورات الحاصلة ورقي العلم،" لقد نحي في هذه المعاجم العربية في استخلاص معاني عامة ومشتركة تدور حولها ألفاظ المادة الواحدة وتشبه إلى حد كبير ما سمّاه ابن فارس الأصول أو المقاييس وقدمها في صدر كل مادة مع ترقيتها وقسمت المادة نفسها إلى أقسام بحسب معانيها التي استنبطت منها و أعطى كل قسم الرقم الذي وضعه تحت معناه في صدر المادة" [3].

و أهم عمل معجمي قدمه مجمّع اللغة العربية هو "المعجم الوسيط" الصادر سنة 1960 ويعتمد هذا المعجم على مادة اللّغة قديمها وحديثها " يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب ألفاظ الجاهلية وصدر الإسلام ويهدم الحدود الزمانية والمكانية التي أقيمت خطأ بين عصور اللغة، ويتبين أن اللغة العربية وحدة تضم أطرافها" [4]، ويحتوي هذا المعجم على مصطلحات علمية شائعة وحديثة لا يستهان بها.

" فتح باب الوضع للمحدثين برسائله المعروفة من اشتقاق وارتجال، إطلاق القياس ليشمل ما قيس وما لم يقس، تحرير السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يسمع اليوم من طرائف المجتمع كالحدادين والنجارين والبنائين وغيرهم من أرباب الحرف والصّناعات، الاعتداد بالألفاظ المولدة،

---

[1]: ينظر، أحمد الشرقاوي إقبال، معجم المعاجم، ص 125،

[2]: ينظر، حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ص 73

[3]: المرجع نفسه، ص 73.

[4]: إبراهيم مذكور، تقديم المعجم الوسيط، ص09.

وتسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء" [1] وحملت معاجم ثنائية اللّغة أسماء مثل " المورد" و"المنهل" وما إلى ذلك، إضافة إلى كثير من المؤلفين أصبحوا يستعملون كلمة معجم في عناوين مؤلفاتهم المعجمية.

[1]: إبراهيم مذكور، تقديم المعجم الوسيط، ص 10.

المبحث الأول : تصنيفات المعاجم العربية:

افتتن العرب كثيرا بأشكال المعاجم وطرق تبويبها نتيجة اهتمامهم البالغ بها حتّى تقررت طرق وضعها ولم تسر جميعا على نظام واحد في ترتيب ألفاظ اللغة وموارده‍ا، وإذا تتبعناها وجدناها نظما متعددة تتفق حينا وتختلف حينا آخر، لكننا نجد هذه المعاجم على اختلافها فإنها تتفق في جانبي اهتمامها إما على اللفظ وإما على المعنى ولا تخرج عن هذين النطاقين (اللفظ أو المعنى) هكذا إذن تشعبت للغويين مناهج عملهم فمنهم من اختار جمع الموارد حسب الألفاظ مرتبا إياها ترتيبه الخاص، ومنهم من رأى جمع الموارد بحسب الموضوعات مبوبا لها بحسب المعاني، واختلفت لدى الطائفتين طرق التّرتيب.

فذهبت الطائفة الأولى إلى ترتيب الألفاظ على مخارج الحروف، أو على الحروف الهجائية، ناظرة إلى الحرف الأوّل للفظة أو الحرف الأخير لها، أو لكليهما، وتسمى (معجمات الألفاظ).

وذهبت الطائفة الثانية إلى إيراد الألفاظ الخاصة بالموضوع المعقود له الباب و الاستشهاد لكل منهما أو لبعضها، أو إلى إيراد النصوص الشعرية الخاصة بالباب واستخراج الألفاظ منها وشرحها وتسمى معجمات المعاني.

1- معاجم الألفاظ:

تسمى المعجمات العامة ويدعوها ويقصد بها: "تلك التي تعالج اللفظة، تضبطها وتبين أصلها، ومشتقاتها، وتشرح مدلولها وتتخذ لها نهجا في ترتيب الألفاظ اعتمادا على الترتيب الهجائي، سواء أتى بحسب نظام مخارج الحروف كما صنع الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلاميذه، أم سار بحسب الأبجدية في ترتيبها المألوف، ولذلك سميت بالمعجمات العامة لجمعها بين نظام التقليبات الصوتية والنظام الألفبائي (نظام الأبنية) والنظام القافية (الفصل والباب) والنظام الألفبائي (الهجائي) بحسب الحرف الأول والثاني والثالث" [1] وهي كذلك "المعاجم التي تتناول ألفاظ اللغة العربية بشرح معانيها وبيان دلالاتها وأوجه استعمالها معززة بالشواهد من كلام العرب أو القرآن الكريم أو الحديث الشريف، وقد تشير إلى قياس أو اختلاف اللهجات أو القراءات أو قاعدة نحوية أو صرفية"[2].

[1]: محمد علي الرديني، المعجمات العربية، دراسة منهجية، ص 91.
[2]: هاني الصحاني، موضوعات لغوية،ط1، دار العصماء، دمشق سوريا2008، ص 05.

1-1- تطور معجمات الألفاظ:

اختلف العلماء في بناء معجماتهم اللغوية لاختلاف وجهة تناول كل لغوي للمراحل المذكورة سابقا، فعرفوا تنافسا شديدا أدّى بهم إلى الاختلاف وغدت المكتبة العربية غنية بمعجمات كثيرة ومتنوعة تناولت الألفاظ القديمة والحديثة، وأساس تبويب هذه المعجمات هو الحروف الهجائية.

وقد مرّ المعجم العربي في تطوره بأربع مدارس اتبعها المعجميون في ترتيب المواد بحسب هذه المعجمات وهي :

"**1**- مدرسة النظام الصوتي ونظام التقليبات : وتضم هذه المدرسة

- ❖ العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي
- ❖ البارع : لأبي علي القالي
- ❖ التهذيب: للأزهري
- ❖ المحيط: للصاحب بن عباد
- ❖ المحكم : لابن سيده الأندلسي "[1]

2- مدرسة النظام الألفبائي (الهجائي) بحسب الحرف الأوّل والثاني مع الاحتفاظ بنظام الأبنية: وتضم هذه المدرسة :

- ❖ جمهرة اللغة لابن دريد
- ❖ مقاييس اللغة لابن فارس
- ❖ المجمل لابن فارس

3- مدرسة القافية (الهجائي) بحسب الحرفين الأول والأخير وتسمى طريقة الباب والفصل، وتضم هذه المدرسة ما يأتي:

- ❖ الصحاح للجوهري
- ❖ العباب للصفاني
- ❖ لسان العرب لابن منظور
- ❖ القاموس المحيط للفيروز أبادي
- ❖ تاج العروس للزبيدي

---

[1]: محمد علي سلطاني: التذكرة في المعاجم العربية، ص 14.

4- مدرسة النظام الألفبائي (الهجائي) بحسب الحرف الأول والثاني والثالث بعد تجريد الكلمة من الزوائد: وتضم هذه المدرسة ما يأتي:

1- الجيم: لأبي عمرو الشيباني

2- أساس البلاغة: للزّمخشري

3- المصباح المنير: للفيومي

4- محيط المحيط: للبستاني

5- أقرب الموارد : للشرتوني

6- المنجد: للأب لويس معلوف

7- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية (القاهرة)[1]

إنّ الناظر لهذه المعجمات العامة تتبيّن له ثلاثة أسس كان لها أثرها في تطوير هذا النوع من المعجمات:

أولا: اختيار الترتيب الهجائي مادّة لترتيب مواد المعجم، وأوّل من اهتدى إلى هذا الأساس، الخليل بن أحمد الفراهيدي " وقد مال الخليل إلى اعتماد هذا الترتيب الذي لم يكن معروفا في زمانه، بل هو مِن ابتكاره لأنّه يعتمد على أساس واضح هو مخارج الحروف من جهاز النّطق عند الإنسان ابتداء من أقصى الحلق ووصولا إلى الشفتين" [2]

وقد هداه عقله الثاقب، ونظرته العلمية الدقيقة إلى اختيار الأبجدية الصوتية، إذ رتّب الحروف الهجائية مجموعات بحسب مخارجها من أعضاء الصوت، مبتدئا بأقصاها من الحلق إلى أسفلها من الشفتين.

ثانيا: الاشتقاق الكبير وهو حصر مشتقات المادة اللغوية بعد تغيير مواضع حروفها فالمادة الثنائية مثلا : (ق،د) إذا غير موضع حرفيها صارت (د،ق) وكذلك تشتق منها مواد أخرى بتكرار أحد طرفيها أو تكرارها معا، وكذلك سائر المواد، وهذا ما رآه ابن جني.

ثالثا: عدد الحروف التي يتكون منها بناء المادة، واختلاف نظرات العلماء بحسب العدد، فالخليل رأى الأبنية أربعة وهي: الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، وقسم كتابه إلى هذه الأقسام الأربعة،وزاد بناء خامسا فسماه (اللّفيف) ووضعه بعد بناء الثلاثي الصحيح، ورأى الأزهري وجها

---

[1]: ينظر، محمد علي عبد الكريم الرديني، المعجمات العربية، ص43.42

[2]: محمد علي سلطاني، التذكرة في المعاجم العربية، ص 18

آخر يجعل الأبنية ستة، وهي الثنائي المضاعف والثنائي الصحيح والثلاثي المهموز والثلاثي المعتل والرباعي والخماسي.[1]

لقد حرص أصحاب معاجم الألفاظ كل الحرص على ذكر الألفاظ الصحيحة دون سواها وأن تكون موثوقة الرّواية عند العرب، لذلك نجد الجوهري يسمي معجمه الصّحاح، وقد سار على نهجه مجموعة من اللغويين ممن ألفوا في المعاجم مثل: ابن المنظور والفيروز أبادي، وقد نقل بعض الرواة أنّ الجوهري رأى أن من سبقه من مؤلفي المعاجم كالخليل وابن دريد ذكروا في معاجمهم بعض الألفاظ التي لم تثبت صحتها.[2]

2- معاجم الموضوعات:

وتسمى معاجم الموضوع الواحد، وقد اضطلع بهذا النوع من التأليف جماعة من اللغويين عاشوا في القرن الثاني للهجرة، أي أنهم عاصروا الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب العين، وأشهر من ألف في هذا النوع : أبو عبيدة معمر بن المثنى صاحب، " ما تلحن فيه العامة، الإنسان، الزرع، الشوارد، معاني القرآن، غريب الحديث" .

أبو زيد الأنصاري صاحب " النوادر، والمطر، والمياه، وخلق الإنسان والشجر و غريب الأسماء"، الأصمعي صاحب الكتابات في " غريب الحديث، والإبل، والأضداد والنحل و الإنسان والمترادفات، والنبات والخيل"، أبو عبيد القاسم بن سلاّم صاحب" الغريب في القرآن والغريب المصنف، وغريب الحديث والأنساب".

وقد جمع هؤلاء أسماء وصفات كل إنسان أو حيوان أو حشرة أو نبات أو بئر أو مطر أو سلاح أو درع، محاولين توضيح معاني المفردات الخاصة بكل مجال على حِدة، أو نقول إنّهم اقتصروا المفردات الصعبة أو (الغريب) وذلك بالشرح والتفسير.[3]

فنرى أنّ أبا عبيدة كتب عن الخيل و أبو زيد عن المطر والأصمعي عن خلق الإنسان، والخيل، والنبات والشجر والنخل والكرم والوحوش، وأبو عبيدة يكتب عن النعم والبهائم والوحش والسباع والطير وحشرات الأرض.

---

[1]: ينظر، محمد علي عبد الكريم الرديني، المعجمات العربية، ص 44

[2]: هاني الصحاني، موضوعات لغوية، ص18

[3]: يسرى عبد الغني عبد الله، معجم المعاجم العربية، ص 57

وجاء في تعريفها أنها " معجمات جامعة لمادة اللغة، مرتبة بحسب الموضوعات، حيث تحصي المفردات الموضوعة لمختلف المعاني بعد ترتيبها بطريقة خاصة وتحت كل معنى منها تندرج الألفاظ التي تستعمل للتعبير عن هذا المعنى " [1]

إذن معجمات المعاني لا تفيد العثور على كلمة ومحاولة شرحها ولكنها تفيد من يدور في ذهنه معنى من المعاني أو يفكر في موضوع ما ويريد أن يجمع الألفاظ المتعلقة بذلك الموضوع أو ذلك المعنى، فهي ترتبط بسياق معيّن وحيّز من الألفاظ التي تنتمي إلى معنى واحد.

والجدير بالذّكر أنّ الباحثين لم يقفوا عند هذا النوع من المعاجم وقفة متمعنة ولم يعطوها حقها الكامل، حيث أنّ ما شغلهم أكثر هو المعجم العربي بالكامل، وبالمعنى الشامل لكلمة معجم، لذا فإنّهم دائما يركزون على الخليل بن أحمد الفراهيدي ومعجمه " العين "، وهذا الاهتمام شغلهم عن مؤلفات متزامنة مع عين الخليل [2].

وهذا النوع من المعجمات يفيد المترجمين والكتّاب و الشعراء والناشئين لأنه يمدهم بالألفاظ المناسبة لمعنى من المعاني يجول في خواطرهم، ولكنهم يقفون حائرين لا يدركون كيف يعبرون عنه بدقة ولا يجدون ما يقابله من الألفاظ، وهكذا نرى أن فكرة المعجمات خطرت لأصحاب هذه الطبقة وكانت بدايتها في شكل معجمات متوسطة الحجم ومرتبة حسب المعاني، وشابهت إلى حد كبير الرسائل اللغوية التي ظهرت قبل هذه الحقبة، فالتأثر بها كان جليا وواضحا، ونرى أنّهم كانوا يعودون إليها ويكونون منها معجما، ولم يخطر لأحد أن يرتب تلك الألفاظ التي اختارها وجمعها ترتيبا هجائيا[3].

" فمعجم المعاني لا يقوم على الألفاظ الهجائية، وإنّما يسعى إلى تصنيف مفردات اللّغة في مجموعات أو زمر، أو أبواب كلية بحسب معانيها المتشابهة ومدلولاتها المتقاربة"[4] .

وبداية هذا النوع تعود على القرن الثاني الهجري، وكانت بداياته في شكل رسائل صغيرة وكتب أو أبواب من كتب تشمل ألفاظا تدور في فلك أو حلقة واحدة، كما فعل أبو زيد الأنصاري في كتاب المطر، والأصمعي، و أبو عبيد ..إلخ ثم تطور التأليف في هذا الموضوع من المعجمات، بحيث أصبح المعجم يشتمل على أكثر من موضوع.

[1]: محمد علي الرديني، المعجمات العربية، ص 138
[2]:ينظر، يسرى عبد الغني عبد الله، معجم المعاجم العربية، ص 60
[3]: ينظر، إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 230
[4]: محمد علي الرديني، المعجمات العربية، ص 139

ومن أهم الكتب التي وصلت إلينا في هذه المرحلة:

(الغريب المصنف) لأبي عبيد القاسم بن سلاّم، (كتاب الألفاظ) لابن السكيت، (الألفاظ الكتابية) للهمذاني، (متخيّر الألفاظ) لابن فارس، (التلخيص في معرفة أسماء الأشياء) لأبي هلال العسكري، (مبادئ اللغة) للإسكافي، (فقه اللغة) للثعالبي، (المخصص) لابن سيدة[1].

3- أهم المحاولات النقدية للمعاجم العربية القديمة:

3-1- عدم الالتزام بالمنهج:

جرت العادة أن يتبع صاحب الكتاب منهجية معيّنة انطلاقا من المقدمة التي يذكر فيها دوافع التأليف أو الغاية التي يتوفاها من ذلك، وأن يبين المنهج المتبع في الدراسة و القواعد التي سيعتمدها أو الأسس التي يبني عليها مؤلفه، " يغلب أن يعمد من يتصدى لتأليف معجم إلى تصديره بمقدمة يبين فيها دوافعه إلى التأليف، أو الغاية التي يتوخاها منه، كما يغلب فيمن يصدر مؤلفه بمقدمة أن يحدد فيها المنهج الذي سيسلكه في أبحاثه، والقواعد التي سيعتمدها أو الأسس التي سَيَبْنِي عليها مؤلّفه، وفي بعض الأحيان يفتقد القارئ إيضاحا لخطة المؤلف في المقدمة، ولكنه لا يلبث إلا قليلا حتى يطلع عليها مشارا إليها بين سطور الكتاب أو في هوامشه أومستفاده ضمنا من التزام المؤلف بها"[2]، هكذا إذن فإن عدم التزام بمقدمة تستوفي الشروط المذكورة يعدّ عيبا من العيوب التي يجب أن يتنزه عنها أي معجم حديث.

3-2- التّصحيف:

وهو من المآخذ التي تؤخذ على معاجمنا، وخاصة أنّ الكتابة العربية لا تبيّن نطق الحروف التي ترسمها، وتحتاج إلى إشارات مضاعفة لإبانة ذلك، فالألفاظ دون هذه الإشارات يمكن أن تقرأ على عدة أوجه، ومن الممكن أن لا تقع هذه الإشارات المضاعفة في موقعها الصحيح، بسبب إهمال الكاتب أو تعبه، فتسبب الخطأ، ولم ينتبه أصحاب المعجمات الأولى لهذا الخطأ ومحاولة تصويبه، ودفعه عن كتبهم، حتى جاء أبو علي القالي فضبط ألفاظه في (البارع) بالعبارة[3].

[1]: ينظر، محمد علي الرديني، المعجمات العربية،ص139

[2]: عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر،ط2، مكتبة لبنان ناشرون، 1994، ص63

[3]: محمد علي الرديني، المعجمات العربية، ص 180

3-3- عدم فهم الغرض من المعجمات :

اعتمد أصحاب المعجمات على جمع اللّغة من حيث غريبُها ونادرُها، فمنهم من أطال ومنهم من اختصر، وجمعوا مع ذلك النواحي المختلفة للثقافة العربية ومعارف العرب، فأصبحت بذلك جامعةً تختلط فيها كلّ الأصناف، فنجد ابن دريد مثلا في كتابه الجمهرة قد جمع جمهور الكلام فأتى بما لم يعرفه عرب الشمال إلا من أبعد منهم بالجنوب قاصدا بتجاربه (اليمن) و أتى بما لا يدور على ألسنة عرب الشمال إلا قليلا، أو على ألسنة قبائل متفرقة منهم، فكان من النوادر، كما أنّ أصحاب المعجمات القديمة أطالوا وحَشَوْا كتبهم بالأعلام العربية والأعجمية و أسماء الأماكن والقصص والخرافات والمفردات الطبيّة و الاصطلاحات الغريبة.

3-4-النّظرة إلى اللغة نظرة ناقدة لا جامعة:

لم يحاول أحد من أصحاب المعجمات أن يجمع اللّغة العربية بجميع لهجاتها أو لهجة معيّنة منها في معجمه، وإنما حاول كلّ منهم أن يقتصر على الفصيح الصّحيح، لذلك نجدهم قد قسموا القبائل العربية إلى فصيحة يعتدّ بها وأخرى غير فصيحة لا يُعتدُّ بها، واعتمدوا في تقويمهم على النّص القرآني واللّهجات العربية ولغة الشعر، ونجد العلماء قد اختلفوا في أسماء القبائل التي يحتج بها، ولكنهم أجمعوا على أنهم تركوا لغات كثيرة من القبائل، فالعربية التي دونها أصحاب المعاجم، عربية خاصة لم يتكلمها إلا قبائل قليلة من شبه الجزيرة الفسيحة الأرجاء، وهي التي سميت العربية الفصحى، أما العربية العامة، فقد فقدت منا إلى الأبد فيما يبدو[1] .

3-5- إهمال المولّد وعدم عدّه من اللغة:

لقد أضاع علماء اللّغة في معاجمهم الكثير من الألفاظ المولّدة، التي ابتكرها العباسيون وارتبطت بالحضارة والمظاهر العباسية المعاصرة، الأمر الذي عطّل اللّغة وجعلها لا تساير الرّكب الحضاري للحياة، وهذا ما أدى إلى اتهامها بالتحجر، " أما ما أهمله أصحاب المعاجم من ألفاظ الأدباء والعرب الذين يستشهد بكلامهم في عرفهم، فإننا نستطيع أن نجمع قدرا كبيرا من حين نحقق دواوين الشعر ومجاميع الأدب ونبرزها في صورة علمية معتمدة و ربما استطعنا أن نصل إلى معاني كثيرة منها من السّياق الذي وردت فيه أيضا"[2].

[1]: ينظر، حسين نصار، المعجم العربي، ص 753
[2]: المرجع نفسه،ص نفسها

إذن فنحن نأخذ على أصحاب التصنيف المعجمي هذه النقطة، ونعيبهم عليها، حيث أنهم لم يتجاوزوا بالمادة المجموعة حدا زمنيا معينا، هو عصر الاحتجاج، ثم أهملوا ما بعد ذلك من ألفاظ الحضارة والمبتكرات المحدثة التي شهدها العصر العباسي على امتداده.

4- النّظم التي اتبعتها في تقسيمها وترتيب أبوابها وفصولها:

إذا أمعنا النظر في المعاجم العربية القديمة، لفت انتباهنا عدم وجود معجم واحد كبير يسير على حروف ألف باء من أوّل الكلمة إلى آخرها، كما فعلت المدرسة الحديثة، وهذا راجع للاضطراب الشديد الذي اعترى أصحاب المعجمات العربية في وضع كثير من المفردات، بسبب مراعاتهم لبعض الأحكام الصّرفية وبخاصة الاشتقاق، وأصالة الحروف وزياداتها، وأرغمهم هذا على تكرير الكثير من الألفاظ الذي اختلف النحويون في أصلها الذي اشتقت منه، فمثلا الرّباعي المضاعف الذي عدّه الكوفيون مشتقا من الثلاثي، وتبعهم في ذلك بعض أصحاب المعاجم، وعدّه البصريون مادة أصلية ، فأورده بعض أهل المعاجم بمواضيع خاصة به[1].

" فالاستبرق في برق، والإسفيداج في سفدج و الأرجوان في رجو، والأندلس في دلس، أو كرروها في موضعين أو أكثر، والحق أن اعتبار زيادة الحروف في الألفاظ الأعجمية أمر غريب لأن شأن المزيد أن يستغنى عنه بالأصل الذي زيد عليه وهنا ليس كذلك إذ لا شيء من الهمزة، والألف والنون في أرجوان مثلا زائدا"[2]، هذا ما يجعلنا نقول أنّ أصحاب كتب المعرب أحقوا حين اعتبروا الحروف كلها في الترتيب.

5- سوء تفسير المواد:

ويقصد به التقليد الذي يقع فيه معظم المعجميين، إذ يكتفون بذكر ونقل تفسيرات من سبقهم دون تجديد ودون إضافات وشروح و إحاطة بالفعل من حيث بابه، مصدره، تعديه ولزومه، وكيفية دخوله للعربية وما اعتراه من تغييرات، حتى إننا نجد تفسيرات الخليل والأصمعي وأبي زيد للألفاظ، باقية كما هي بدون تغيير، وافتخر آخرهم بذلك ويتمثل في التفسير بلفظ مجهول أو أقل دورانا من اللفظ المفسّر، وفي التفسيرات الدورية التي قد تنفع في معاجم المترادفات ولا تنفع في المعاجم العامة التي لابد فيها من التفسير بالشرح لا بالمرادف، ومن أمثلة الغموض ما جاء في لسان العرب من تفسير بكلمة (سيكران)

[1]: حسين نصار، المعجم العربي، ص 754

[2]: المرجع نفسه، ص 755

وشَفْشَفَ حَرُّ الشّمس كلّ بقيّةٍ *** من النّبتِ إلاّ سَيْكَرانًا وحُلَّبًا

قال أبو حنيفة : السّيكران مما تدوم خضرته القيظ كلّه، قال : وسألت شيخًا من الأعراب عن السّيكران فقال: هو السخر، ونحن نأكله أَيْ أَكْلٌ، وقال: وله حَبّ أخضر كحبّ الرَازْيَانْجْ، ففي هذا التفسير يواجه الباحث كلمات غامضة وربّما أغمض من الكلمة المراد شرحها، وحتى تفسيره الأوّل فهو قاصر مُبْهَمٌ حين قال أنّ السّيكران نبات دائم الخضرة فهناك نباتات كثيرة على هذا الشكل.

ويرجع هذا إلى الاتّكال على الشهرة أو الاكتفاء بشيوع معناه وتداوله على ألسنة الناس هذا الاعتقاد ساهم في ضياع أمور كثيرة كان يعرفها القدماء ونجهلها نحن، والأجدر والواجب أن نعدل معاجمنا الحديثة عن كل هذه الأمور وأن نعتمد إلى جانبها على الصور التي تفيد مالا يفيده الكثير من الألفاظ.[1]

إذن هذا ما جعل معاجمنا العربية الحديثة تحرص كلّ الحرص على الابتعاد عن هذه الهفوات، وجعلها تحسّ بكثير من النقائص، لكن عموما نعترف لها بما حققته من تجميع ومحافظة على الموروث اللغوي العربي القديم، وكل بداية تعتريها الكثير من النقائص والشوائب، والعمل اللغوي لا يكتمل نضجه إلاّ بعد التفحص والتدقيق والدراسة والتصفية والغربلة.

[1]: ينظر، حسين نصّار، المعجم العربي، ، ص(758-759)-، محمد علي الدريني، المعجمات العربية، ص 183

المبحث الثاني: النظريات الدلالية الحديثة:

اهتمت الدراسات اللّغوية بالمعنى اهتمامًا بالغًا، أدّى بها إلى محاولة بلورة أفكارها ضمن رؤى تنظيرية تتميز بالشمولية في الدراسة والعالمية في الأهداف، ولا شك أنّ الدراسات والأبحاث اللّغوية المقدمة من قبل مدرسة " براغ" التي ركزت اهتمامها على الصوت والدلالة، ومدرسة " كوبنهاجن" التي اهتمت بدراسة العلامة اللّغوية قد رسم للغويين المحدثين اتجاها واضحا نحو إرساء علمي لنظرية الدّلالة، دون نسيان جهود العالم اللغوي السويسري دوسوسير حيث كانت لأبحاثه و آرائه ومنهجه في الدراسة الألسنية الأثر الكبير في مسار علم الدلالة الحديث، وإذا عدنا إلى مصطلح "النظرية اللغوية" فإننا نجده يُوحي باكتمال في الرؤية والوصول إلى نتيجة علمية، لكن الواقع يثبت أن الدراسات اللغوية و الدلالية لازالت تحتاج إلى بحث وتعمق للوصول إلى نتائج ونظريات أوسع وأدق، والبحث اللغوي الحديث لم تكتمل حلقاته بعد، فلازالت الإضافات العلمية التي تقدم تأويلات جديدة لظاهرة لغوية تخص الدلالة، ومع ذلك تأسست نظريات تناولت مسألة "المعنى" من كل جوانبها، مما أدى إلى تعمق البحث وتشعبه في متعلقات المعنى اللغوية وغير اللغوية، وحاولت تقديم معايير موضوعية تحسم في كلّ القضايا الدلالية التي هي موضع خلاف بين اللغويين، إلاّ أنّها بهذا فتحت أبوابا أخرى للبحث والنقاش والاختلاف وتوسعت رقعة البحث وتباينت فيه آراء العلماء في تناول القضايا وطرحها وطرائقها وتأويلها ومعاييرها، وتولدت عن ذلك أفكار رغم أهميتها إلا أنها لم ترتق إلى مصاف النظرية العلمية، وذلك لافتقارها صفة الشمولية في التناول ووقوعها أسيرة لمناخ فكري إيديولوجي ميّز العصر، والاختلاف في الرّؤية التنظيرية بين العلماء يرجع إلى اختلاف في المنهج أو الطريقة المعتمدة في الدراسة، و إذا أمعنا النظر في النظريات الغربية الحديثة التي اهتمت بالدلالة نجدها تتوزع على خمسة حقول تخضع لخمسة مناهج تبناها اللغويون في التنظير، "أما المنهج الأوّل فهو المنهج الشكلي الصّوري الذي يصف المدلولات لاعتبارات تركيبية وتعبيرية و أسلوبية بالنظر إلى الشكل الذي يجمعها في بنية واحدة وهو تفرعها عن أصل واحد.[1]

أما المنهج الثاني فهو المنهج السياقي الذي يتم من خلاله تصنيف المدلولات لاعتبارات تركيبية وتعبيرية وأسلوبية، والمنهج الموضوعي المقامي النفسي فهو الذي يحدد مدلول اللفظ والخطاب اللغوي باعتبار حال المتكلم ومقامه وموقفه، أما المنهج الرابع فهو منهج الحقول الدلالية

[1]: ينظر،عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي، توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986، ص 56

المهتم بتحديد البنية الداخلية للمدلول واعتبار القرابة الدلالية والعلائقية بين المدلولات (المفاهيم)، أما المنهج الخامس فهو منهج التحليل المؤلفاتي الذي تنكشف معه البنية العميقة للخطاب بتحليل اللفظ إلى مؤلفاته وعناصره [1] ، فلا نغفل الإشارة إلى أن الدراسة الدلالية العربية لها مرجعيتها التاريخية و الفكرية وتخضع لتصورات اجتماعية معيّنة لا يمكن إسقاطها من أيّ مراقبة علمية، والنظرية الغربية نفسها استمدت روحها وقواعدها وتطبيقاتها من لغات أجنبية، وهذا لا يعدّ مانعا من الاستفادة من أفكارها في تعاملنا مع تراثنا العربي، كون اللغة العربية واحدة من مجموعة اللغات الطبيعية وتشترك مع غيرها في عدّة خصائص صوتية وتركيبية ودلالية، وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات[2].

و أهم النظريات التي اهتمت بالمعنى هي :

1– النظرية الإشارية:

تعتبر هذه النظرية الخطوة الأولى في مراحل النظر العلمي في نظام اللغة، ويرجع الفضل لأصحابها في تمييز أركان المعنى وعناصره، معتمدين في ذلك على النتائج التي توصل إليها(دوسوسير) في أبحاثه اللسانية والتي خصّ بها الإشارة اللغوية باعتبارها الوحدة اللغوية المتكونة من دال ومدلول، فالدّال هو الإدراك النفساني للكلمة الصوتية، والمدلول هو الفكرة أو مجموعة الأفكار التي تقترن بالدال، ورغم اختلاف أصحاب هذه النظرية في الرؤى فإنّ أغلبهم أطلق على النظرية مصطلح "النظرية الاسمية في المعنى " [3] .

[1]: ينظر، منقور عبد الجليل – علم الدلالة- أصوله ومباحثه، ص 82
[2]: ينظر، عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 56
[3]: ميشال زكرياء، – الألسنية- علم اللغة الحديث، ص 178، 180

ويعود الفضل للعالمين الانجليزيين " أوجدن" و " ريتشاردز" في منح النظرية الإشارية الصبغة العلمية من خلال مثلثهما الذي يميز عناصر الدلالة بدءا بالفكرة أو المحتوى الذهني ثم الرمز أو الدال، وانتهاء إلى المشار إليه أو الشيء الخارجي.

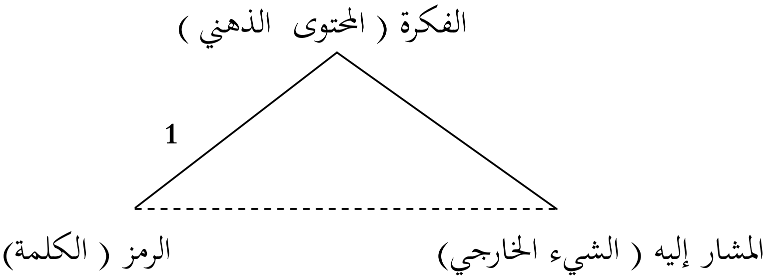

إن هذا التقسيم المتميز للمعنى أعطى للبحث الدلالي نفسًا جديدًا يعطي انطلاقة لنظريات جديدة وأفكار مهمة. فالدراسات الدلالية الحديثة تدور كلها في فلك مثلث "أوجدن وريتشاردز" فقد ركزت أبحاثها إما على عنصر من العناصر الثلاثة، أو عنصرين منها وإما على العناصر الثلاثة كلها استنادا على أن " معنى الكلمة هو إشارتها إلى شيء غير نفسِها وهنا يوجد رأيان:

أ- رأي يرى أنّ معنى الكلمة هو ما تُشير إليه.

ب- رأي يرى أن معنى الكلمة هو العلاقة بين التعبير وما يُشير إليه.

فدراسة المعنى على الرأي الأول تقتضي الاكتفاء بدراسة جانبين من المثلث وهما جانبا الرمز والمشار إليه، وعلى الرأي الثاني تتطلب دراسة الجوانب الثلاثة لأنّ الوصول إلى المشار إليه يكون عن طريق الفكرة أو الصورة الذهنية " [2]

إذن هذا التقسيم كان له الفضل في نشأة نظريات المدلول التي كان موضوعها الدلالة وأقسامها، وأسهم في ظهور نظريات اهتمت بدراسة الإشارة اللغوية، وفي هذا الإطار نشأت فكرة العلامة أو السّمة ممّا ساهم في ميلاد علم جديد هو علم السيميولوجية، وشكلت دراسة " الصورة الذهنية " عقبة أمام الباحثين، مما فتح مجالا واسعا لأبحاثهم واكتناف عوامل خفية أطلق عليها بعضهم "عالم المفاهيم" وسماها البعض الآخر " العوالم الدلالية " التي تمثل إحدى الدعامات الرئيسية في نظرية الأوضاع التي تشكل الامتداد الطبيعي للنظرية الإشارية[3].

---

[1]: منقور عبد الجليل، علم الدلالة- أصوله ومباحثه، ص 83

[2]: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 55

[3]: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة، ص 385-386

ومصدر الدلالة في اعتقاد نظرية الأوضاع يكمن في المراجع الموجودة في العالم الخارجي وتبرز دلالة مَا لصيغة معينة بواسطة مجموع العلائق المتشابكة بين جملة الأوضاع، " المكان الطبيعي للمعنى هو العالم الخارجي لأن المعنى يبرز في العلائق المطردة بين الأوضاع والمعنى اللغوي يجب أن ينظر إليه في إطار هذه الصورة العامة للعالم، عالم مليء بالمعلومات و أجسام موفقة لالتقاط جزء من هذه المعلومات "[1].

والدلالة لا يتم الوصول إليها معجميا و إنما مرورا برصد جملة العلائق التي تحددها الأوضاع في العالم الخارجي، إذن "الفكرة الرائدة في دلالة الأوضاع هي أنّ معنى جملة يتحدد بعلاقة الكلام والوضع الموصوف"[2].

ويرى (بوتمن) أن عالم المفاهيم المودع في العالم الخارجي أضخم بكثير مما هو في الرأس، فالمفاهيم هي الأساس الذي انبنت عليه نظرية الأوضاع التي تنظر إلى المعنى أنه علاقة بين الكلام المنتج والأوضاع الموصوفة، وهذه النظرية ترتكز كذلك على الدلالة الخارجية للّغة وانصهار المعلومات اللغوية ضمن التيار المعلوماتي، ومرد ذلك أن المعنى لا يتموضع في العالم الخارجي ولا في النفس وإنما يتموضع في عالم المفاهيم[3].

2- النظرية التصورية:

تعود جذور هذه النظرية إلى الفيلسوف الإنجليزي (جون لوك) الذي سماها النظرية العقلية، ونادى فيها بأن استعمال الكلمات يجب أن يكون الإشارة الحساسة إلى الأفكار، والأفكار التي تمثلها تعد مغزاها المباشر الخاص[4]، " وقد أطلق بعض الباحثين على هذه النظرية اسم النظرية الفكرية لأن الكلمة تشير إلى فكرة في الذهن وأن هذه الفكرة هي معنى الكلمة"[5].

ونتيجة للطابع التجريدي الذي وسم النظرية التصورية، فإن العلماء المتأخرين أسسوا أفكارهم على معطيات حسية تقع تحت الملاحظة والمشاهدة، وأرجعوا الدلالات كلها إلى تلك التصورات التي تحقق الأثر العلمي، والجدير بالذكر أن أفكار هذه النظرية صحيحة تقترب كثيرا من فكرة النظرية السلوكية التي تنبني على مبدأ المنبه والاستجابة إلا أن تحديد مرجعية الآثار إلى

[1]: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة، ص 386

[2]: المرجع نفسه، ص نفسها.

[3]: ينظر، منقور عبد الجليل، علم الدلالة- أصوله ومباحثه في التراث العربي ص 84

[4]: ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 57

[5]: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية مصر 2003 ، ص96

التصورات الذهنية تلحق تلك الفكرة بالنظرية التصورية"[1]، "رأى بيرس أن تصورنا لشيء ما يتألف من تصورنا لآثاره العملية، فالتيار الكهربائي مثلا لا يعني مرور موجه غير مرئية في مادة ما، وإنما يعني مجموعة من الوقائع مثل إمكان شحن مولد كهربائي أو أن يدق جرس، و أن تدور الآلة، وإذن فمعنى كهرباء هو ما تفعله، وإذن فالتصورات المختلفة التي تحقق نتيجة عملية واحدة وإنما هي تصور واحد أو معنى واحد، والتصورات التي لا ينتج عنها آثار لا معنى لها "[2].

إن عالم الأفكار عالم مستقل بذاته فالدلالات واحدة في جميع اللغات وإنما الاختلاف أتى من تباين الألسنة، وذهب علماء الألسنة المحدثون إلى افتراض وجود عوالم دلالية يجب البحث عن معالمها وسننها بناء على البنية الدلالية حتى أن اللغويين المتأخّرين اعتبروا أنّ التصورات والأفكار هي كيان مستقلّ قد يستغني عن اللّغة إذا أراد الأفراد ذلك.

" الأفكار التي تدور في أذهاننا تملك وجودا مستقلا ووظيفة مستقلة عن اللغة وإذا قنع كل منا بالاحتفاظ بأفكاره لنفسه كان من الممكن الاستغناء عن اللغة"[3].

وما دام أن النظرية التصويرية تعتبر أن المعنى هو التصور الذي يحمله المتكلم ويحصل للسّامع حتّى يتم التواصل والإبلاغ، فإن عالم الأشياء غير متجانس كما أن التصورات متباينة من فرد لآخر، فتصور "شجرة" مثلا يحمل جملة من الدلالات المختلفة اختلافا قد يكثر أو يقل بحسب وجود هذا التصور داخل عالم الأشياء، كما أن هناك كلمات لا تحمل تصورا باعتبارها لا تنتمي لعالم الأشياء، كالأدوات والحروف وما إلى ذلك[4]، إذن مجال النظرية التصورية يرتكز على مبدأ التصور الذي يمثله المعنى الموجود في الذهن عكس النظرية الإشارية التي عكفت على دراسة الإشارة كأساس للولوج إلى دراسة ما يتعلق بها من عناصر المعنى.

---

[1]: ينظر، منقور عبد الجليل، علم الدلالة، ص 85

[2]: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ص 97

[3]: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 57

[4]: ينظر، منقور عبد الجليل، علم الدلالة، ص 86

3- المدرسة السلوكية الأمريكية:

"تطورت النظرية السلوكية وأخذت مسارها الطبيعي على يد اللساني الأمريكي بلومفبيد Bloomflied"[1] وهو متأثر في هذا بسلوكية " ألبرت بول فايس" كما عرضها في كتابه الأساس النظري للسلوك الإنساني، يرى أصحاب هذا الاتجاه أن السلوك الإنساني يوصف أكمل وصف و أدقه عن طريق اعتبار الظواهر الفيسيولوجية وغيرها من الظواهر المادية التي تصحب سلوك الأفراد، ولا يتأتى عندهم دراسة الظواهر الإنسانية دراسة علمية إلا بهذا الطريق، ولما كانت اللغة ظاهرة إنسانية فيصدق على دراستها ما يصدق على دراسة سائر الظواهر الإنسانية، ونجد في دراسات بلومفليد اللغوية مصطلحات مثل " الاستجابة، الاستجابة البدلية، المثير البدلي". وعندما تحدث " بلومفيلد" عن معنى الكلمة وعن معنى النطق عامة، قال إنه ينبغي أن يعرف عن طريق أحداث عملية أي فيسيولوجية أو فيزيقية مرتبطة بها، فمعنى " الجوع " مثلا في قولي : أنا جائع، يعرف بالتقلص العضلي وما يحدث في المعدة من إفرازات وما قد يصحب ذلك من عطش. ويرى بلومفليد أننا نستطيع أن نعرف كلمة مثل (الملح) عن طريق عناصره الكيماوية المكونة له، وأكبر دليل على فكرة بلومفليد، استحضاره لمثاله المشهور والمعروف بـ " جاك وجيل والتفاحة"، فيفترض أن جاك وجيل يسيران في الطريق، وتشعر "جيل " بالجوع ثم ترى تفاحة على شجرة فتحدث ضجة في حنجرتها ولسانها وشفتيها، فيقفز جاك على السور ويتسلق الشجرة ويحضر التفاحة فتأكلها "جيل" [2].

و يفسرها السلوكيون أن جيل حين تكون جائعة، عضلات معدتها تتقلص وتنقبض و تندفق العصارة المعوية، ورؤيتها للتفاحة يعني وجود موجات ضوئية تسقط من التفاحة على عيني جيل، وهو مثير، أما الاستجابة المباشرة فهي أن جيل تتسلق بنفسها الشجرة وتحضر التفاحة، ولكن بدلا من ذلك فهي تقوم باستجابة بديل على شكل سلسلة من الأصوات عن طريق أعضاء النطق وهي مثير بديل بالنسبة إلى "جاك"، بحيث تجعله يتصرف كما لو كان جائعا ورأى التفاحة[3].

ونجد أن لهذه لتفسيرات اعتراضات عدة أهمها يكمن في عدم حدوث استجابة من قبل جاك، فربما كانت جيل تعرف رفض جاك لجلب التفاحة – من تجاربها السابقة ومعرفتها لجيل – فهنا تؤثِر الجوع على أن تطلب منه طلبا تراه يُرفض، وهكذا فإن جيل قد قامت بحركات قليلة في

---

[1]: خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص 178

[2]: محمود السعران، علم اللغة، ص 248

[3]: ينظر، المرجع نفسه، ص نفسها.

حلقها وفمها أنتجت ضجة قليلة هي "الكلام" ، فقام جاك بردود الأفعال، وأدى أعمالا كانت فوق طاقة "جيل" وهكذا حصلت جيل أخر الأمر على التفاحة، إذن فاللغة تمكن شخصا من إحداث رد الفعل عندما يتوفر المثير لدى الشخص الآخر، وهكذا يرى بلومفليد أن تنظيم المجتمع الإنساني كله يتم عن طريق اللغة، أما الآن فسننظر إلى القسم الثاني من القصة وهو "الكلام " وهذا هو الذي يعنينا، وبالاستعانة بالفيسيولوجية والفيزياء نستطيع أن ندرك كيف تمت عملية "الكلام" من الناحية الصوتية، لقد قام جهاز نطق جيل بحركات عضلية معينة لإصدار هذه الأصوات والحركات العضلية التي يقوم بها المتكلم تعد "رد فعل" لدافع "مثير"، ورد الفعل هنا ليس ردا فعليا، كأن تحاول "جيل" أن تقفز على السور وتحضر التفاحة لنفسها، فيعتبر رد فعل بدلي لغوي، أي أن الكلام حل محل العمل الذي كان من المحتمل أن يصدر عنها ثم إن الموجات الصوتية الخارجة من فم "جيل" قد جعلت الهواء المحيط يضطرب على شكل موجات مماثلة، وأخيرا طرقت هذه الموجات الصوتية طبلتي أذني "جاك" وذبذبتهما، وأثرت هذه الذبذبات على أعصابه، لقد سمع جاك الكلام وأحدث هذا السماع لدى جاك دافعا أو مثيرا فسلك السلوك الذي ذكرناه، فإحساس جيل بالجوع كان دافعا قويا لجاك وأثر على سلوكه العملي، فجاك من حيث هو شخص متكلم ظهر رد الفعل عنده على نوعين مختلفين من المثيرات : احدهما المثيرات العملية (كالجوع ورؤية الطعام) والثاني من المثيرات الكلامية أو " البديلة " وهي ذبذبات مغنية في طبلتي أذنه، ونقول في الأخير أن بلومفليد يدخل في اعتباره بعض العناصر غير اللغوية المتصلة بالكلام، ويعتبرها عنصرا لازما لإدراك معنى الكلام، فهذه المدرسة لا تتجاهل العناصر الاجتماعية ولكنها تعبر عنها بمصطلحات خاصة بها، إنما لا تتجاهل شخصية المتكلم وشخصية السامع وبعض الظروف المحيطة بالكلام، بل إن هذه المدرسة بعنايتها بتحليل المظاهر الفيسيولوجية والفيزيقية خاصة قد وجهت عناية اللغويين نحو ربط المعنى بمجالات غير الكلام، مجالات تستلزم التحليل على مستويات خاصة[1].

إذن اهتمام المدرسة السّلوكية كان منصبًّا حول كيفية توزيع الوحدات اللغوية في السلسلة الكلامية وقيامها بوظائفها أو بالسّلوك الذي يحدث عند المتكلم ويجب مراعاته عند دراسة المعنى واللّغة[2].

[1]: ينظر، محمود السعران، علم اللغة، ص 250-251

[2]: ينظر، عبد العزيز أحمد علام، في علم اللغة العام 375.

4- النظرية السياقية الإنجليزية (الاجتماعية):

يعدّ "فيرث" المؤسّس الفعلي لهذه المدرسة، فقد طوّر في مذهب هذه المدرسة، ورأى أن الوصول إلى المعنى يتطلّب، تحليل النص اللغوي صوتيا وفونولوجيا وصرفيا ونحويا ومُعجميا، وبيان سياق الموقف من شخصية المتكلّم والسّامع وجميع الظروف المحيطة بالكلام، وكذا بيان نوع الوظيفة الكلامية من التمنّي أو الإغراء أو الترغيب والترهيب، والكشف عن الأثر الذي يتركه الكلام في السّامعين من الحزن والألم أو الفرح والسّرور[1]، لكننا إذا أمعنّا النَظر في آراء هذه النظرية لوجدناها تعتمد اعتمادا كبيرا على آراء "برونسلاو ماليتوفسكي" العالم الأنثروبولوجي البولندي ودراساته أدّت به إلى نظرية قيمة في اللّغة فيما يتعلّق بدراسة الكلام بوجه خاص، ووصل إلى أن اللّغة نوع من السّلوك وضرب من العمل، إنّما تؤدّي وظائف كثيرة غير التوصيل، وهي ليست كما يرى التّعريف التَقليدي وسيلة من وسائل توصيل الأفكار والانفعالات أو التعبير عنها أو نقلها، واستعمل "مالينوفسكي" مصطلح (سياق الحال) ولفظة (سياق) كانت متداولة بين اللّغويين من قبله ولا تزال متداولة بينهم ولكن " مالينوفسكي" أضفى على الاصطلاح (سياق الحال)، ثمّ تطوّر هذا المصطلح تطورا أخر باستعمال "فيرث" له في دراسته اللغوية، وسياق الحال عند فيرث نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام، وهذا التجريد يقوم به اللغويون للوفاء بدراستهم،[2] وهو يشمل أنواع النشاط اللغوي جميعا كلامًا وكتابة، وأصحاب هذا الاتجاه "يدرسون الكلمة متجاوزين أصل الدلالة وطبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، إذ اهتموا بالدور الذي تؤديه الكلمات في السياق والطريقة التي تستعمل بها، حتى أن منهم من جرد الكلمات من المعنى مطلقا ما لم تكن في السياق، وهو مذهب لا يخلو من مبالغة "[3].

وسياق الحال هو "جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو للحال الكلامية، ومن هذه العناصر المكونة للحال الكلامية:

1- شخصية المتكلم والسّامع وتكوينهما الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسّامع –إن وجدوا- وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي ودورهم أيقتصر على الشهود أم يشاركون من آن لآن بالكلام، والنصوص الكلامية التي تصدر عنهم.

---

[1]: ينظر، عبد العزيز أحمد علام، في علم اللغة العام،ص 378

[2]: ينظر، محمود السعران،علم اللّغة ص 251-252

[3]: خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص 81

2- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل، وكالوضع السياسي وكمكان الكلام ..إلخ.
وكل ما يطرأ أثناء الكلام ممن يشهد الموقف الكلامي من انفعال أو أي ضروب من ضروب الاستجابة، وكل ما يتعلق بالموقف الكلامي أيا كانت درجة تعلّقه.
3- أثر النص الكلامي في المشتركين، كالاقتناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك..إلخ"[1]

إذن يتضح أنه من خصائص سياق الحال إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وسائر المشتركين في الموقف الكلامي.

إن المعنى عند "فيرث" كلّ مركّب من مجموعة الوظائف اللغوية، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصّوتية، ثمّ المورفولوجية والنّحوية والقاموسية والوظيفية الدلالية لسياق الحال، ولكلّ وظيفة من هذه الوظائف منهجه الذي يراعى عند دراستها، وما تجدر الإشارة إليه أنّ التَحليلات اللّغوية كلّها على المستويات المختلفة ليست المعنى ولا هي دراسة المعنى، فلابدّ للوصول إلى المعنى من خلال الرّبط بين النَتائج تُوصل إليها هذه التّحليلات جميعًا[2]، فالدّراسة الاجتماعية للمعنى نجدها تبتعد عن الثنائية التقليدية، هي ثنائية اللفظ والمعنى أو الكلمة والمضمون، فهي تعتبر الكلام نوعًا من السلوك الاجتماعي مرتبط بعناصر أخرى غير لغوية.

5- نظرية الحقول الدلالية:

تعد من أقدم النظريات في تحليل عناصر المعنى اللغوي، وقد كانت بداياتها عبارة عن إشارات وتلميحات تتصل ببعض استعمالات مصطلح حقل، أوحول استخدام مفهوم الحقل اللغوي، أو الذي عرض لأفكار تتصل بالحقل، "عرفت المجالات اللغوية عند علماء اللغة أنها تصنيف للألفاظ المستعملة في نص من النصوص أو لغة من اللغات، ترتبط فيما بينها برباط دلالي معين، والحقل الدلالي أو المعجمي هو مجموعة متكاملة من الكلمات ترتبط دلالاتها بمجال يعبر مجموعها عنه، وعلاقة هذه النظرية بالمعنى أن معرفة الحقل الذي تنتمي إليه الكلمة يساعد في تعريف معناها، كما أن موقع الكلمة بين أخواتها في الحقل يعني درجة من تحرير معناها في الحقول المقابلة لذلك الترتيب"[3]، و يقصد بالحقل الدّلالي مجموعة من الكلمات المتقاربة في معانيها، يجمعها صنف عام مشترك بينها، وتُعنى هذه النظرية بإدماج الوحدات المعجمية المشتركة في

---

[1]: ينظر، محمود السعران، علم اللغة، ص 252-253
[2]: ينظر، المرجع نفسه، ص 253
[3]: صلاح الدين زرال،الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري،ط1 منشورات الاختلاف الجزائر، 2008، ص190

مكوناتها الدلالية في حقل دلالي واحد وذلك نحو: أخضر، أحمر، أزرق، أسود فكلها يشترك في حقل الألوان[1]، "وهو مصطلح لغوي يعني وجود بعض الكلمات التي يمكن أن ترتبط معًا في معنى عام يجمعها، بحيث يُمكن أن تصنّف كلّ كلمات اللغة أو أكثرها في مجموعات ينتمي كل منها إلى حقل دلالي معين، ويُحدد كل منها عناصر الآخر كما تتحدّد هذه العناصر عن طريق بيان مركزها في حقولها الدلالية"[2]، وربما نجد معظم الكلمات في اللغة العربية تدخل تحت مصطلح (الحقول الدلالية) مثل الكلمات الدالة على النباتات والطيور والأطعمة والحيوانات، وقد بدأ تطبيق فكرة الحقول الدلالية على أيدي علماء اللغة الغربيين في العشرينيات في القرن العشرين، في ألمانيا وسويسرا، من أتباع "همبولدت" ومن رواد " ترْايَرْ" (Trier) و"إسبن" (Ispen) و"جولس" (Jolles) و"بروتسج" (Prozig)[3]، واستعمل تجنر، Tegner ' مصطلح حقل في مقالة له بعنوان: 'تقديم أفكار الحقل اللغوي ' في عام 1844م، واعتبر 'هومبلدت' 'Humboldt، الجد الروحي الأعلى لهذه النظرية،وكان هو و'هوردر' Herder من الرواد في ألمانيا، وقد دعا هومبلدت إلى دراسة اللغة دراسة عقلية، واعتمد على أن العقل لا يدرك شيئًا إلا إذا قارنه بغيره، ففكرة ربط اللغة بالعقل ترجع إليه، أما شيوع المصطلح بوصفه مفهومًا لغويًا فإنه يعود في البداية إلى 'هوسرل'

و'دي سوسير' اللذان اعتقدا أن كل كلمة تحاط بشبكة من الخواطر والأفكار، التي ترتبط من خلالها بالكلمات الأخرى، فهذه التداعيات ترتبط بالمفهوم والصيغة، حيث تمتد إلى المعنى وإلى الشكل ففكرة دي سوسير عن القيمة اللغوية تتصل بنظرية الحقل الدلالي، وتزداد قيمة بعض الكلمات من خلال اتصالها بالأخريات، كما أن قيمة الكلمة تختلف في لغة ما عنها في لغة أخرى.

وأشار 'إبسن' Ipsen إلى فكرة الحقل الدلالي قائلا : وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك كلمات خاصة لا تقف وحيدة في اللغة، ولكنها ترتبط بمجموعة دلالية، ولا يعني ذلك بأنها مجموعة اشتقاقية.

[1]: ينظر، محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 33
[2]: أحمد عارف حجازي عبد العليم، الحقول الدلالية، ط1، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا ، القاهرة 2007، ص 11
[3]: المرجع نفسه، ص 13

وهكذا توالت الدراسات والأبحاث وكلها، كانت إشارات لم تتبلور إلا عند'ترايرTrier، ' الذي اعتبر مؤسس هذه النظرية، وقد استخدم ترايز مصطلح الحقل اللغوي أو مصطلح حقل الكلمة، فحقله يرمز إلى شيء بين الكلمة المفردة ومخزون الكلمة العام.

'فترايز' ركز على المفهوم من خلال الكلمات، وكان يختار اللغة أولا، كأن تكون مثلا إنجليزية أو ألمانية أو فرنسية ثم يربط بين الكلمات، و'هومبلدت' لم يحدد اللغة، أما' سوسير وتراير' فقد حدداها.

وقد كان انشغال ترايز بالثروة اللفظية للغة الألمانية وتتبع التغيرات التي تطرأ عليها بمرور الزمن سببًا في اهتمامه بالحقل، وقد تأثر ترايز بهومبلدت و'دي سوسير'و'فايسجرير' الذي انشغل نظريًا وعمليًا ببناء حقول الكلمات، وميز في ذلك بين الطبقات أو القطاعات في الحقل الواحد، ويكون قد تجاوز بذلك ترايز، ولم تقتصر دراسات نظرية الحقل الدلالي على الرواد فقط، بل هناك علماء آخرون أسهموا في تطور هذه النظرية، وهم أصحاب القواميس الذين نظموا المادةاللغوية حسب الموضوعات.[1]

ونجد أن 'لايبنز'Leibniz من أوائل الذين اقترحوا القيام بعمل قاموس يؤسس منهجه حسب أنواع الأشياء أو الموضوعات.

أما أول تحقيق علمي لقاموس مرتب حسب الموضوعات الدلالية فقد وجد عند 'روجت Roget' عام 1852، وعد هذا القاموس مثلا للقواميس الألمانية والفرنسية والأسبانية، إلى أن وصلت الدراسات إلى عمل أحدث معجم يطبق نظرية الحقول الدلالية وهو معجم (Greek New testament) .

وهكذا توالت الدراسات الدلالية وكلها تخدم نظرية الحقول الدلالية، قام بها علماء ألمان وسويسريون وفرنسيون وأسبان ودانمركيون وأمريكان وإنجليز، كل منهم في مجاله ومن مفهومه ومنظوره، وقد ساهمت هذه الدراسات في تطور نظرية الحقول الدلالية.

ويعود الفضل إلى الألماني "ترايز" في بلورة نظرية الحقول الدلالية وإخراجها نظرية متكاملة، وقد قدمت هذه النظرية عددا من المقولات أهمها :

[1]: ينظر، محمود جاد الرب، نظرية الحقول الدلالية والمعاجم المعنوية عند العرب، مجلة مجمع اللغة العربية، 1992 ، ص 71 /224

- أنّ المعجم مبني من مجموعات من المفاهيم الوثيقة الترابط تمثلها مجموعات من المفردات، وهذه المجموعات المفهومية تندرج من الأعمّ إلى الأخصّ ومعاني الكلمات داخل كلّ حقل تحدد وتعين بناءً على ما يشاركها من مفردات أخرى في الحقل.

- كل حقل دلالي مكون من عنصرين هما :

- الأوّل مفهومي، والثاني معجمي .

- والحقل الدلالي يتكون من مجموعة من المعاني أو الكلمات المتقاربة، التي تتميز بوجود عناصر أو ملامح دلالية مشتركة، وبذلك تكتسب الكلمة معاناها في علاقتها بالكلمات الأخرى، فلا يفهم معاني مفردات التقديرات : ممتاز، جيد جدا، جيّد، مقبول إلا بمقارنتها ببعضها.

- تتكون الحقول الدلالية من كلمات أساسية ذات مفاهيم مركزية، وأخرى هامشية، وخصائص الكلمة الأساسية أن معناها غير مأخوذ عن معنى غيرها، فألفاظ الألوان في اللغة العربية يوضح ذلك، فإذا أخذنا اللون: الأبيض، الأسود، الأحمر هي ألوان أساسية غير مأخوذة من أسماء أخرى بينما الرمادي، البرتقالي، البني غير أساسية لأنها مأخوذة من غيرها وهي : الرماد والبرتقال والبن.

- يختلف حجم الحقول الدلالية وحيزها المكاني باختلاف مجالات واهتمامات الإنسان، ويُعدُّ مجال الكائنات والأشياء من أكبر المجالات ويليه مجال الأحداث ويتبعه المجردات، وفي آخر المراتب ما يتصل ويرتبط بالعلاقات، ويختلف حجم المادة المعجمية في الحقل باختلاف الثقافة والعصر، فمثلا حقل الجمل في العربية الفصحى الكلاسيكية يُعدُّ ضخمٌ جدّا، بينما في اليابانية أو لغة الإسكيمو لا يشتمل إلا على كلمة واحدة، بينما يحدث العكس تمامًا إذا أخذنا لفظة "جليد وثلج" ففي لغة الإسكيمو تعتبر من أكثر الحقول المعجمية ثراء لفظيًا وفي العربية حجم اللّفظة يعدُّ أصغر بكثير من لفظة الإسكيمو[1].

" وقد أعدت معاجم عديدة وفق هذه النظرية وأشهر الحقول المتناولة (القرابة، الأمراض، الطبخ، قطع الأثاث، ألفاظ الأصوات ..) وأشهر معجم حديث هو معجم Roget ثم Greek new testament، ودراسة معنى الكلمة، وفق هذه النظرية تكون من خلال الكلمات المتصلة بها دلاليا، ومعناها هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل على مذهب "جون ليونز" ويشار إلى أن هذه الفكرة عرض إليها دي سوسير في محاضراته، حينما تحدث عن علاقات التداعي بين (ارتاب، خشي، خاف ..)، كما ذهب إلى أن(الشمس) مثلا

[1]: ينظر، سالم سليمان الخماش، المعجم وعلم الدلالة، ص 64-65

لا تفهم إلا داخل محيطها "[1]، وطبقا لذلك فإنه لا يمكن البحث في هذه النظرية عن طريق تجريد الكلمة كوحدة معجمية (Lexime) بل يجب أن تعامل الكلمة بوصفها جزء من السياق situation الذي ترد فيه،بحيث يتحدد معناها ضمن بقية عناصر الجملة التي هي جزء منه.

ولا يمكن إغفال التركيب النحوي الذي يحدد معنى الكلمة، عن طريق بيان موقعها الوظيفي الذي تشغله، سواء كان حيز المفعولية، أم الفاعلية أم الخبرية أم الإضافة ...الخ.

وتنقسم الحقول الدلالية إلى ثلاثة أقسام هي :

1- الحقول المحسوسة المتصلة: مثل ألفاظ الألوان

2- الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة: مثل ألفاظ القرابة

3- الحقول التجريدية: مثل ألفاظ الفكر والثقافة

- والحقول التجريدية أهم الأنواع في نظرية الحقول الدلالية ذلك لأن معظم كلمات اللغة تجريدية، وعلى ضوء هذه الأقسام يمكن أن نقسم ألفاظ اللغة إلى ثلاثة أقسام، فهناك كلمات محسوسة الدلالات متّصلة، وهناك كلمات محسوسة الدلالات منفصلة العناصر، وهناك مجردة، فالكلمات المحسوسة المتصلة مثل: كلمات (أحمر، أخضر، اصفر) والكلمات المحسوسة منفصلة العناصر مثل: (عم، خال، أب، أم، جد، جدة) والكلمات المجردة مثل : (ذكاء، حدس، خيال، خير، إيمان)، ويرى تراير أن الحقول الدلالية بأنواعها السابقة غير منفصلة، بل هي مرتبطة معًا في شكل حقول أكبر، وهكذا حتى تنحصر الكلمات كلّها[2]، أما أحمد مختار عمر فقد عقب على هذا الرأي بأنه "من الممكن – تبعا لهذا- أن نخصص حقلا للحرف والمهن وحقلا للرياضة، وحقلا للتعليم، ثم نجمع كل هذه الحقول تحت حقل واحد يشملها جميعا، هو النشاطات الإنسانية"[3]، إذن فتصنيف المعارف ونظرية الحقول الدلالية نَبَّهَتْ علماء اللغة إلى وضع معاجم مرتبة حسب المعاني والمفاهيم الدلالية، وألفوا رسائلهم اللغوية التي جمعت الحقول الدلالية المتصلة بموضوع ما. هكذا ارتبطت نظريات الدلالة بالمعنى وتشرح طبيعته وتفسره وتصنفه إلى أنواع مختلفة تبعا لمعايير متنوعة.

[1]: خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص 187

[2]: أحمد عارف حجازي، الحقول الدلالية، ص 16

[3]: أحمد مختار عمر، علم الدلالةً ، ص 107

المبحث الثالث: 'التصنيف الموضوعي' :

إن الاهتمام البالغ الذي أولاه العرب بلغتهم، أدى بهم إلى محاولة الاحتفاظ بها، فأعطوْا عناية خاصّة بالمعاجم وطرق ترتيبها وتبويبها، وذكر أحمد مختار عمر، أنّ العرب كانوا منطقيين حينما لاحظوا جانبي الكلمة وهما (اللفظ والمعنى) فرتّبوا معاجمهم إمّا على اللفظ أو على المعنى، فَوُجد نوعان من المعاجم وهي معاجم الألفاظ ومعاجم معانٍ أو معاجم الموضوعات.[1]

وإذا أمعنّا النظر في مصطلح التصنيف الموضوعي لوجدناه يرتبط بالموضوعات ويبتعد عن الموضوعية التي هي عكس الذاتية، وبناءً على هذا فقصدنا في بحثنا هذا ربط مصطلح (موضوعي) بالتصنيف كي يُفهم أنّه ترتيب من ترتيبات المعاجم التي وضعها علماء اللغة القدامى، وهذا النوع من التصنيفات يجعل من الموضوعات أو المعاني مادة أساسية في بناء المعجم وتتخذ بهذا الدّلالة أساسًا في الترتيب، فيجمع هذا النوع من المعاجم شتى الموضوعات في كتاب واحدٍ، ككتاب الصّفات لأبي الحسن النّضر بن شميل، قال عنه ابن النديم: " كتاب الصّفات، وهو كتاب كبير، يحتوي على عدّة كتب ومنه أخذ أبو عبيد القاسم بن سلاّم كتابه (غريب المصنف)، قال ابن الكوفي الجزء الأول يحتوي على خلق الإنسان والجود والكرم وصفات النّساء، والجزء الثاني يحتوي على الأخبية والبيوت وصفة الجبال والشّعاب، والأمتعة، والجزء الثالث للإبل فقط، والجزء الرّابع يحتوي على الغنم، الطّير، الشمس، القمر، اللّيل والنهار، الألبان، الكمأة، الآبار، الحياض، الأرشية، الدّلاء، صفة الخمر، والجزء الخامس يحتوي على الزّرع، الكرم، العنب، أسماء البقول، الأشجار، الرّياح، السّحاب، الأمطار، كتاب السّلاح، كتاب خلق الفرس".[2]

ومن الكتب التي جمعت عدة موضوعات في كتاب واحد كتاب(الغريب المصَنف) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت 224)، والمنتخب من غريب كلام العرب لكراع النّمل (توفي310)، وفقه اللّغة لأبي منصور الثعالبي (ت 429)، والمخصّص لابن سيده (ت 458)، وغيرها من الكتب التي اهتمت بهذا الشأن، وقد عرفت اللّغة العربية هذا النوع من المعاجم منذ بداية حركة اللّغة، وذلك في صورة رسائل صغيرة، ذات اتجاهات مختلفة، أُلِّفت مبكّرة، كالرّسائل الخاصّة بالحشرات والخيل والإبل وخلق الإنسان ....إلخ.

1: ينظر، أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص 175

2: ابن النديم، الفهرست، ص 77.

وكان ذلك في القرن الثاني الهجري، والدّافع من هذا الاهتمام هو الخوف على اللّغة حين اختلط العربي بغيرهم وانتشر اللّحن، حتَى وصل إلى القرآن الكريم، فاهتّم العرب بحفظ اللّغة العربية عن طريق تتبعها وتسجيلها من أفواه أهلها الفصحاء[1] وكانت دوافع العلماء في ذلك دينية ولُغوية ومرّ التأليف عند العرب بثلاثة مراحل هي :

1- المرحلة الأولى:

تميّزت بالتأليف المختلط، إذ كان العالم يرحل البادية ويُدَوِّن كلّ ما يسمعه، فنجد أنّ السّماع والرّواية والتّدوين ثلاث طرق في نقل المعرفة لا عند العرب وحدهم، بل عند كثير من الأمم، وكان العالم يجمع كلمة في المطر، وكلمة في السّلاح، وكلمة في النّخل والزّرع وأُخرى في الإبل وهكذا.

2- المرحلة الثانية :

وهي مرحلة جمع الكلمات المتعلّقة بموضوع واحد في رسائل وكتيبات مستقلّة فألّفت في هذه المرحلة الرّسائل اللّغوية المتعلّقة بموضوع واحد، ومن الموضوعات التي حازت على السّبق في التّأليف هي الموضوعات الدينية، نظرًا لاهتمامهم وخوفهم على كتاب الله، فوُجدت رسائل في غريب القرآن والحديث، كما وجدت رسائل في خلق الإنسان، والحشرات، والخيل، والإبل، والنّوادر، البلدان، والمواضع، والأبنية، (كالمصادر والأسماء والأفعال)، والنّحل، والعسل، والنّخل والنَبات، وغيرها من الموضوعات المستمدّة من البيئة العربية.

3- المرحلة الثالثة:

وهي مرحلة جمع مواد اللّغة ذات الموضوعات المختلفة وحصرها في كتب اصطلح على تسميتها بعد ذلك بالمعجمات، ليرجع إليها كلّ من أراد البحث عن معنى كلمة، ومن الكتب التي جمعت موضوعات متعدّدة كتاب (الصّفات) للنّضر بن شميل، و(الغريب المصنَف) لأبي عبيد، و(الألفاظ) لابن السّكيت وما إلى ذلك.[2]

ومن الرسائل اللّغوية المفردة التي تمثّل بداية الاهتمام بالتصنيف الموضوعي وانطلاقة التأليف في معاجم الموضوعات، نذكر منها :

1- كتاب الخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى :

[1]: ينظر، حسين نصار، المعجم العربي، ص 28
[2]: ينظر، أحمد الشرقاوي، معجم المعاجم، ص126.

تحدّث أبو عبيدة في كتابه عن موضوعات عدّة نذكر منها:

- فضل الخيل ومكانتها عند العرب وتكريمهم لها وصيانتها وذكر الأحاديث والآثار التي تؤكّد فضلها ومكانتها.
- ما قالته العرب من أشعار حول الخيل.
- أسماء أعضاء الفرس ظاهرها وباطنها، جليلها ودقيقها.
- ما يعرض للخيل، فحولها وإناثها.
- الطّرق التي تُستدعى بها الخيل وتُزجر.
- ما يستدلّ به على جودة الفرس، كثرة ريقه، ورحب منخريه، وطموح بصره، وشدّه أذنيه.
- أسماء الخيل، وما تستحبه العرب في الخيل .
- ألوان الخيل، الدهمة، والخضرة، والصّفرة....[1]

2- كتاب المطر لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري:

في هذا الكتاب تحدّث أبو زيد عن الموضوعات التالية:

- الأزمنة والفصول كأوّل وآخر القيظ، الصفرية، والشتاء، والدفيئ، والصيف .
- أمطار السّنة وأنواؤها.
- أسماء السّحاب.
- أسماء البرق.
- أسماء الرّعد.
- أسماء الأمطار تِبعًا لحجمها أو مقدارها، و قوتها واستمرارها ووقتها وطريقة هطولها.
- الأمطار الدّائمة وأنواعها .
- النّدى ومصدره.
- الجليد والثّلج ووقتهما.
- السّيل.
- انقطاع المطر وإقلاعه.
- صحو السّماء وذهاب الغيم

[1]: ينظر، أبي عبيدة، كتاب الخيل،ط1 القاهرة، ص 126.

– أسماء المياه[1].

3- كتاب خلق الإنسان لأبي سعيد عبد الملك بن قُريْب الأصمعي :

قسّم الأصمعي كتابه إلى عناوين، فالعنوان الأوّل (ما يذكر من حمل المرأة وولادتها والمولود) وفيه الموضوعات التالية :

– حال المرأة عند الحمل ويشمل: حملها وهي تُرضع، و أيضا حملها في آخر قُرئها عند مُقبِل الحيضة.

– أوّل الحمل وأطواره وما تشتهيه في وحمها ومراحل تكوّن الجنين إلى أن يستبين الحمل وتُثقَل، ويتم الجنين لشهوره.

– أحوال المرأة أثناء الولادة.

– أحوال الجنين أثناء الولادة.

والعنوان الثاني (ما يذكر من تقلّب أحوال الإنسان)، تحدث في هذا العنوان عن تدرّج الإنسان في العمر وما يطلق على الجنين عندما يولد ثم يُصبح طفلا ثم شَدْخًا وهكذا إلى أن يُصبح صبيّا يافِعًا ثم شابًّا، ويتدرّج في النّمو إلى أن يُصبح هرمًا.

والعنوان الثالث (هذا ما تُسمِّي العرب من جماعة خلق الإنسان) تحدّث فيه عن الموضوعات الآتية:

– ذكره لأسماء جماعة خلق الإنسان كالشّخص والطَّلَلْ والسمامة.

– تحدث عن شكل الإنسان وجسمه، وعِظم جُثّتِه، وقمّة رأسه،

– تحدث عن صفات الرّجال كالطول والقصر، والخفة والثّقل والضعف والغلظ والضخامة والجمال والقبح والفصاحة ورحابة الصدر..

هكذا نستطيع القول أن الخوف على القرآن الكريم وعلى اللّغة العربية جعل علماء العرب يجتهدون ويبذلون كلّ ما بوسعهم لحفظ اللّسان العربي من استفحال اللّحن، وحفظ اللّغة عن طريق وضع أسس وقواعد لها، من خلال المؤلّفات التي ترتبط بتاريخ العرب وتُعَدُّ مصدر قوة وخصوصية العرب، وبعد الرّسائل اللّغوية التي مررنا عليها – لا من أجل إحصائها جميعا وإنما التّركيز فقط على أهم الرسائل لنثبت ونؤكد البعد التاريخي للتصنيف الموضوعي، وكيف أنّ العرب اهتمُوا بجانب الموضوعات والمعاني اهتمامًا بالغًا – نستطيع القول أن تلك الرّسائل كانت اللّبنة الأساسية لظهور

[1]: ينظر، أحمد الشرقاوي إقبال، معجم المعاجم، ص 125

معاجم الموضوعات، فقد استفادت معاجم هذه المرحلة من الرسائل القديمة كثيرا، وفي الفصل الثاني سنقوم بدراسة معجم من معاجم الموضوعات وهو كتاب: " فقه اللّغة وسرّ العربية" للثعالبي الذي نراه من أوفى وأشمل معاجم الموضوعات، وسنخصّص له فصلاً كاملاً انطلاقًا من تعريف المؤلف ثم الكتاب وأخيرًا أهم السّياقات التي أُلِّفَ فيها الكتاب، ومن خلال ما تقدم ذكره في هذا الفصل يتبيّن لنا أنّ الاهتمام باللّغة وبخاصّةِ جانب المعاني والسّياقات لم يقتصر على العرب لوحدهم، وإنما شغل كل الأمم، فاهتمام العرب منذ القديم بالمعاني يوضّح قيمة البعد الذي تلعبه السّياقات، فالألفاظ حين تكون بعيدة عن سياقها لا تقوى على توصيل الرّسالة باعتبار اللّغة أداة لتحقيق التّواصل بين النّاس، واللّغة لا تتمكّن من تحقيق هدفها بعيدا عن سياقها، ولم يتوقف الاهتمام بالمعنى بل أسال حِبْرَ كثِيرٍ من العلماء واللّغويين، خاصّة في عصرنا، وأكبر دليل على ذلك ما عرضناه من نظريات دلالية غربية.

الفصل الثاني

كتاب فقه اللغة ونظرية الحقول الدلالية عند العرب

المبحث الأول: أبو منصور الثعالبي، حياته، رحلاته، تلاميذه، مؤلفاته:

1- حياتــه:

"هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ولد في نيسابور في السنة 350 هـ /961 م، فلقب بالنيسابوري، وكانت عائلته تعمل في خياطة جلود الثعالب، فعمل عملها في بادئ الأمر، فلقب بالثعالبي"[1].

يعتبر من كبار أدباء القرن الرابع الهجري، وإذا نحن عدنا إلى المصادر القديمة للبحث عن أخباره، ومحاولة تحديد ملامح شخصيته، سيواجهنا تقصير كبير في حق رجل ترجم لمجموعة كبيرة من أدباء عصره، المشهورين والمغمورين على حد سواء، هذا التقصير الذي بعث الدهشة في نفوس الدارسين المحدثين.

ولقد اكتفت كتب التراجم القديمة بالوقوف عند سنتي ولادته ووفاته، وبإشارات عابرة تدور في فلك المدح والإطراء، كما جاء في قول أبي إسحق الحصري "هو فريد دهره، وقريع عصره، ونسيج وحده، وله مصنّفات في العلم والأدب تشهد له بأعلى الرتب".[2]

وقال فيه الباخرزي: "هو جاحظ نيسابور، وزبدة الأحقاب والدهور، لم تر العيون مثله، ولا أنكرت الأعيان فضله، وكيف ينكر وهو المزن يحمد بكلّ لسان، أو كيف يستروهو الشمس لا تخفى بكل مكان، وكنت وأنا بعد فرخ أزغب في الاستضاءة بنوره أرغب،وكانا هو ووالدي بنيسابور لصيقي دار، وقريني جوار، وكم حملت كتبا تدور بينهما في الإخوانيات، وقصائد يتقارضان بها في المجاوبات، وما زال بي رؤوفا، وعلي حانيا، حتى ظننته أبا ثانيا رحمة الله عليه كل صباح تخفق رايات أنواره، ومساء تتلاطم أمواج قاره".[3]

ولقد صب الدارسون المحدثون لومهم على الأول باعتباره معاصرا له، وعلى الثاني باعتباره تلميذه وربيبه فهذه الأوصاف العامة لا ترسم لنا ملامح شخصية الثعالبي، ولا تكشف شيئا عن أسرار نفسه، وقال فيه ابن بسام صاحب الذخيرة:"كان في وقته راعي تلعات العلم، وجامع أشتات النثر والنظم، رأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنفين بحكم قرانه، سار ذكره سير

1: أبو منصور الثعالبي،فقه اللغة وسر العربية،تح،فائز محمد،ط1 دار الكتاب العربي،بيروت 2006،ص5

2: أبو إسحاق إبراهيم الحصري،زهر الآداب وثمر الألباب1 ،تح محمد محي الدين عبد الحميد،ط4 ،بيروت 1929،ص 169

3: أبو الحسن الباخرزي،دمية القصروعصرة أهل العصر،تح سامي مكي العاني،ط2 دار العروبة،الكويت 1985،ص 228،229

المثل وضربت إليه آباط الإبل، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب، طلوع النجم في الغياهب، وتواليفه أشهر مواضع، وأبحر مطالع، وأكثر راو لها وجامع، من أن يستوفيها حد أو وصف، أويوفيها حقوقها نظم أو وصف"[1]، وهكذا سار الدارسون القدماء يكيلون المدح والإطراء للرجل ويعددون مؤلفاته، وحاول المحدثون كشف جوانب حياته الغامضة معتمدين على اجتهاداتهم، وافتراضاتهم، مما أوقعهم في أوهام كثيرة.

أصلــه:

اختلف الدارسون في تحديد أصله، فمنهم من ذهب إلى أنّه من أصل فارسي ومنهم من قال بأنه من أصل عربي، وإذا نحن حاولنا تقصي الحقيقة من خلال إنتاج الرجل، وجدناه عند حديثه عن الفرس، أو الأعاجم عموما، يذكرهم بضمير الغائب، بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك، حين يبدي إعجابه بأبي نصر بن حماد الجوهري الذي كان من أصل تركي، ثم إنه كان إماما في علم لغة العرب، وأنّه يؤثر الترحال على الإقامة بالوطن، لإتقان اللغة العربية، وبهذا يستبعد أن يكون الثعالبي من أصل فارسي، وهو إمام في اللغة.

مهنتــه:

عمل الثعالبي في بداية حياته مؤدبا للصبيان في الكتاتيب، يلقنهم مبادئ القراءة والكتابة، فمهنة التأديب كانت هي الرائجة في الحواضر كنيسابور، ولكن هذه المهنة لم تكن لترضي طموحه، وهو الذي أنفق ثروة والده – التي جمعها من خياطة جلود الثعالب– في اقتناء الكتب، ولقاء أهل العلم والأدب[2].

2- رحلاتــه:

لقد عاش الثعالبي في شرق فارس، في النصف الثاني من القرن الرابع، والثلث الأول من القرن الخامس الهجري، ولازم نيسابور حتى سنة 377 هـ، وقد كان أمراؤها منشغلين بالفتن والحروب، فتركها إلى بخارى حوالي سنة 382 هـ، وهي تحت حكم الأمير نوح بن منصور الساماني، ويستولي الأتراك على بخارى سنة 383 هـ، فيفر عنها الأمير نوح، ويعود الثعالبي إلى نيسابور خائبا، إلا ما أفاده من الاتصال بكبار العلماء والأدباء، ويعكف على

[1]: ابن خلكان،وفيات الأعيان،تح إحسان عباس،دار صادر،بيروت،ص 178

[2]: ينظر، الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص5

تأليف أشهر كتبه "يتيمة الدهر"[1] وذاع صيته بهذا الكتاب، فسمح له بربط علاقة صداقة مع كبار أدباء العصر أمثال: بديع الزمان الهمذاني، وأبي الفتح البستي وأبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبي ثم توجه إلى جرجان سنة388 هـ، بعد أن استعادها الأمير شمس المعالي، فوقف بين يديه مهنئًا بقصيدة مطلعها:

الفتح منتظم و الدهر مبتسم * و ظل شمس المعالي كلّه نعم**

كما قدم له كتابه المبهج في السنة نفسها، وكان الأمير محبا للأدب وأهله، ومشجعا لهم فأكرمه وأجزل له العطاء، ثم إلى نيسابور، بدليل دخوله على أميرها أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين مباركا نصره على الساماني المنتصر في سرخس بقصيدة مطلعها:

تبلجت الأيام عن غرة الدهر * وحلت بأهل البغي قاصمة الظهر**

ويحل القحط بخراسان سنة 401 هـ، فيشد الرحال إلى أسفرائين وينزل ضيفا على زعيمها أبي العباس الفضل بن علي الذي كانت داره منتدى للأدباء ولم يطل المقام بها، فقد توجه إلى جرجان ليجدد العهد بشمس المعالي قابوس بن وشمكير، ويقدم له "التّمثّل والمحاضره" فأكرمه وأحسن ضيافته[2].

وترك الثعالبي جرجان مضطرا إلى الجرجانية، بعد أن استدعاه أميرها أبو العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه، الذي أكرم وفادته، فمدحه وأهداه كتبا، منها "الكناية والتعريض"، فقدر علمه وأعجب بمؤلفه، وترك الجرجانية إلى غزنة سنة 407 هـ، وكانت في فترة ازدهارها تحت حكم السلطان محمود بن ناصر الدين سبكتكين الغزنوي، وكانت له منزلة كبيرة عند الأمير أبي المظفّر أخ السلطان، إذ وجد فيه ما كان يأمله في أخيه.

ولم يطب لأبي منصور المقام في غزنة بعد وفاة الأمير أبي المظفر سنة 412هـ، فشد الرحال إلى هراة قاصدا القاضي أبي أحمد منصور بن محمد الهروي الأزدي، وأهداه "اللطيف في الطيب" و"الإعجاز والإيجاز"، ونال موفور كرمه ومننه، وكان قد تقدم به العمر فترك

[1]: ينظر، الثعالبي،فقه اللغة، ص 5
[2]: ينظر، ابن الأثير،الكامل في التاريخ9،إدارة الطباعة المنيرية،مصر،ص 229

التّرحال، وحط الرحال بنيسابور ليجدد العهد بصديقه القديم الأمير أبي الفضل الميكالي – حاكم نيسابور–، وجلسائه من العلماء والأدباء، و يتفرغ للتأليف – فألف ذيل اليتيمة الذي سماه تتمة اليتيمة –إلى أن وافته المنية سنة 429 هـ.

هكذا كانت حياة الثعالبي رحلات متتالية، لم تعرف الاستقرار إلا نادرا، وكان في أسفاره يتتبع الأخبار، ويسمع الأشعار، فاكتسب ثقافة متنوعة واسعة، مكنته من ربط علاقات مع الأمراء والوزراء وكبار أدباء العصر، وصلت أحيانا إلى حد الصداقة والأخوة، وأهداهم مجموعة كبيرة من مؤلفاته، التي كان لها تأثير كبير في لا حقيه من أهل المشرق والمغرب.[1]

3- تلامـيذه:

عكف كثيرون على الاطلاع على مؤلفات الثعالبي والإفادة منها، وقد صرح الباخرزي بتلمذته له، والإفادة من علمه، و يعتبر دمية القصر ثمرة لتلك التلمذة وليعقوب بن أحمد بن محمد أبيات فيها وفاء بحق أستاذه واعتراف بالتلمذة عليه، يقول:

لئن كنت يا مولاي أغليت قيمتي ***ذوأعليت مقداري و أورثتني مجدا

وقصرت في شكرك فالعذر واضح*وهل يشكر المولى إذا أكرم العبدا**

كما سمع عنه البيهقي، وأبو محمد إسماعيل بن محمد النيسابوري، وغيرهما.[2]

4- مؤلفاته :

خلف الثعالبي مجموعة كبيرة من المؤلفات، أضرب عن ذكرها كتاب التراجم من معاصريه فترة من الزمن، باستثناء بعض الإشارات وكان اهتمام الأندلسيين بمؤلفاته أكثر من اهتمام المشارقة، وذلك لتعّلقهم بآداب أهل المشرق، فكان الكلاعي أول من جاء بقائمة موسعة لكتب الثعالبي، ثم أعقبه الصفدي بقائمة نقلها عنه ابن قاضي شهبة أما المحدثون من عرب ومستشرقين فقد أولوا كتبه اهتماما كبيرا فصدرت قوائم حديثة لمؤلفاته، أوردها

[1]: ينظر، – ابن خلكان،وفيات الأعيان2،ص 352
– محمد عبد الله الجادر،الثعالبي ناقدا وأديبا،ص 36
[2]: ينظر، –ابن خلكان،وفيات الأعيان2،ص 350

الباحثون في مقدمات تحقيقاتهم لكتبه، وفي ثنايا دراساتهم لإنتاجه، ولكن علينا أن نتحرى الدقة والحذر عند اعتمادنا بعض هذه القوائم، إذ نسب فيها للثعالبي من الكتب ما ليس له، أو ذكر له مؤلفات لا تعدو أن تكون أسماء مختلفة لمؤلف واحد، كما أن بعض هذه القوائم صنف له من الكتب ما هو ملفق من فصول بعض كتبه، لا يتجاوز بعضها حجم كراس، هذا فضلا عن طبع وتحقيق كتب أدرجتها هذه القوائم ضمن المخطوط من كتبه، ولعلّ في ذكر كتبه المخطوطة ما يغري الباحثين للاهتمام بتحقيقها، وأشهر مؤلفاته:[1].

أجناس التجنيس، أحاسن كلم النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الإسلام، أحاسن المحاسن، أحسن ما سمعت، الآداب، آداب الملوك، الأشباه و النظائر، الاقتباس من القرآن، الأمثال، تتمة اليتيمة، التمّثل والمحاضرة، ثمار القلوب في المضاف و المنسوب، ديوان الثعالبي، يتيمة الدهر، فقه اللغة وسر العربية 'والذي هو موضوع دراستنا'، وغيرها من الكتب التي تركها الثعالبي.

واتسمت مؤلفاته بالدقة العلمية، فهو لا يتحرج من ذكر حقائق فاتته فيما سبق، ثم عمل على استدراكها فيما بعد، أو من التصريح بأنه استعان ببعض العلماء من أصدقائه في إخراج بعض فصول كتبه، لقد تمكن الثعالبي– من خلال إنتاجه الغزير –من تدوين معارف عصره، فمؤلفاته عبارة عن مرآة ناصعة، عكست جوانبه السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والأدبية، إذ رجع له الفضل في رسم صورة واضحة المعالم عن العصر الذي عاش فيه، تدل على ثقافة واسعة في اللغة والأدب والأعلام من العرب والفرس وغيرهم[2].

[1]: ينظر، الجادر،الثعالبي ناقدا وأديبا،ص 54، وللاستفاضة أكثر، ينظر جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ، الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية.
[2]: ينظر، الجادر،الثعالبي ناقدا وأديبا، ص 130

المبحث الثاني: "كتاب فقه اللغة وسر العربية وسياقاته":

1- التعريف بالكتاب:

ذكر الثعالبي في مقدمته، أنه استعان بأقوال عدد كبير من علماء اللغة، وأئمتها المعروفين كالخليل بن أحمد، والأصمعي، وأبي عمرو الشيباني، والكسائي، والفراء، وأبا زيد الأنصاري، وأبا عبيدة، وابن الأعرابي، وغيرهم[1]، وكتاب فقه اللغة وسر العربية يعد من معجمات المعاني، التي تعنى بأسرار اللغة العربية ولطائفها وخصائصها، ويمتاز الكتاب بسداد منهجه وحسن تبويبه[2]، وهومن أدق معاجم الموضوعات ترتيبًا وتبويبًا داخل الأبواب والفصول، وهو كتابان وليس كتابًا واحدًا كما توهم البعض، وقد ألفه الثعالبي للوزير أبي الفضل عبدالله بن أحمد الميكالي بطلب منه، ودارت معظم موضوعات الكتاب حول المجالس التي كانت تقام عند الوزير وتذكر فيها نكت من أقاويل أئمة الأدب واللغة، وجوامعها ولطائفها، وخصائصها مما لم يتنبهوا لجمعه ونظم عقده، وتسمية الكتاب كانت من أفكار الوزير أبي الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي، الذي لم يعن بـ: "فقه اللغة" الاصطلاح المعروف اليوم،والذي يشمل الأبحاث اللغوية المتعلقة بنشأة اللغة، وتعريفها، ووظائفها، وخصائصها، من حيث الاشتقاق والترادف والاشتراك اللفظي، وإنما قصد "المعنى اللغوي" أي "فهم اللغة"، والكتاب يعد معجما لألفاظ عربية، اختارها الثعالبي، ورتبها حسب المعنى الذي تشترك فيه، وفق نسق خاص وطريقة رآها أنسب الطرق للترتيب والتبويب.[3]

- منهج الثعالبي في الكتاب:

قسم الثعالبي كتابه قسمين كما يوضح ذلك العنوان،"فقه اللغة"و"سر العربية"، ويشتمل كتابه على ثلاثين بابا،كل منها مقسم إلى فصول[4].

---

[1]: الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية،ص 20،21

[2]: ينظر، الرديني المعجمات العربية،ص 146

[3]: ينظر،الثعالبي فقه اللغة وسر العربية،ص 10،18

[4]: ينظر، أحمد طاهر حسنين، نظرية الاكتمال اللغوي عند العرب، ط1 القاهرة 1987 ص 201

أ–القسم الأول:(فقه اللغة):

وزع الثعالبي هذا القسم على ثلاثين بابا من الأبواب العامة الشاملة، يحمل كل منها عنوانا رئيسا يتضمن موضوعا عاما، وكل باب ينقسم إلى جملة من الفصول تتفاوت عددا، تقل أو تكثر، فقد تقتصر على بضعة فصول، وقد تزيد على الستين، ويضم كل فصل منها فرعا جزئيا من المعنى العام الذي عقد عليه الباب الأصلي.[1] يقول الثعالبي:"...وأزهر لي قربه سراج التبصر في استتمام الكتاب، وتقرير الأبواب، فبلغت بها الثلاثين على مهل وروية، وضمنتها من الفصول ما يناهز ستمائة وهذا ثبت الأبواب:

الباب الأول: في الكليات، وفيه أربعة عشر فصلا.

الباب الثاني: في التنزيل والتمثيل، وفيه خمسة فصول.

الباب الثالث: في الأشياء تختلف أسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها، وفيه ثلاثة فصول.

الباب الرابع: في أوائل الأشياء وأواخرها، وفيه ثلاثة فصول.

الباب الخامس: في صغار الأشياء وكبارها وعظامها وضخامها، وفيه عشرة فصول.

الباب السادس: في الطول والقصر، وفيه أربعة فصول.

الباب السابع: في اليبس واللين والرطوبةنوفيه أربعة فصول.

الباب الثامن: في الشدة والشديد من الأشياء، وفيه أربعة فصول.

الباب التاسع: في الكثرة والقلة، وفيه ثمانية فصول.

الباب العاشر: في سائر الأوصاف والأحوال المتضادة وفيه ثمانية وثلاثون فصلا.

الباب الحادي عشر: في الملء والامتلاء والصفورة والخلاء، وفيه عشرة فصول.

الباب الثاني عشر: في الشيئ بين الشيئين، وفيه ستة فصول.

الباب الثالث عشر: في ضروب الألوان والآثار، وفيه ثمانية وعشرون فصلا.

الباب الرابع عشر: في أسنان الناس والدواب وتنقل الحالات بها،وفيه سبعة عشر فصلا.

---

[1]: ينظر،الرديني،المعجمات العربية،ص147

الباب الخامس عشر: في الأصول والأعضاء والرؤوس والأطراف وأوصافها، وما يتولد منها ويتصل بها ويذكر منها، وفيه خمسة وستون فصلا.

الباب السادس عشر: في الأمراض والأدواء وما يتلوها وما يتعلق بها، وفيه أربعة وعشرون فصلا.

الباب السابع عشر: في ضروب الحيوانات وأوصافها، وفيه تسعة وثلاثون فصلا.

الباب الثامن عشر: في الأحوال والأفعال الحيوانية، وفيه ثمانية وعشرون فصلا.

الباب التاسع عشر: في الحركات والأشكال والهيئات وضروب الضرب والرمي، وفيه أربعون فصلا.

الباب العشرون: في الأصوات وحكاياتها، وفيه أربعة عشر فصلا.

الباب الحادي والعشرون: في الجماعات، وفيه أربعة عشر فصلا.

الباب الثاني والعشرون: في القطع والانقطاع والقطع وما يقاربهما من الشق والكسر وما يتصل بهما، وفيه ستة وعشرون فصلا.

الباب الثالث والعشرون: في اللباس وما يتصل به والسلاح وما ينضاف إليه من سائر الآلات والأدوات وما يأخذ مأخذها، وفيه سبعة وأربعون فصلا.

الباب الرابع والعشرون: في الأطعمة والأشربة وما يناسبها، وفيه سبعة عشر فصلا.

الباب الخامس والعشرون: في الآثار العلوية وما يتلو الأمطار من ذكر المياه وأماكنها، وفيه سبعة عشر فصلا.

الباب السادس والعشرون: في الأرضين والرمال والجبال والأماكن والمواضع وما يتصل بها، وفيه سبعة عشر فصلا.

الباب السابع والعشرون: في الحجارة، وفيه ثلاثة فصول.

الباب الثامن والعشرون: في النبت والزرع والنخيل، وفيه سبعة فصول.

الباب التاسع والعشرون: فيما يجري مجرى الموازنة بين العربية والفارسية، وفيه خمسة فصول.

الباب الثلاثون: في فنون مختلفة الترتيب من الأسماء والأفعال والأوصاف، وفيه تسعة وعشرون فصلا"[1]

وقد اعتبر البعض أن تسمية الكتاب " بفقه اللغة " فيه الكثير من التجوز وقيل: إن هذه التسمية للكتاب تعتبر كالثوب الفضفاض عليه بسبب أنه لم يضمنه إلا بعض المباحث القليلة في الباب التاسع والعشرين، وكانت عن الألفاظ العربية والفارسية والرومية[2] وهذا القسم الأول كما لاحظنا" فقه اللغة" يتصل بمعاجم الموضوعات ويمثل أكثر من نصف الكتاب تقريبا.

ب- القسم الثاني:(سر العربية):

ويتصل بسر العربية في مجاري كلام العرب وسننها، تناول فيه الثعالبي بعض الأساليب والتراكيب في اللغة العربية، وطريقة العرب في التعبير،واعتمد على الآيات القرآنية في الاستشهاد، وكذا الأشعار الفصيحة ومأثور كلام العرب، وهذا القسم وزعه صاحبه على فصول تبلغ تسعة وتسعين فصلا[3]، ومن سنن العرب كما ذكرها الثعالبي في كتابه :

1- تقديم المؤخر وتأخير المقدم، كقول العرب: أكرمني وأكرمُته زيد وتقديره:أكرمني زيد وأكرمته،كما قال الله تعالى حكاية عن ذي القرنين:"ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا "[4]، تقديره:آتوني قطرا أفرغ عليه.

2- الكناية عما لم يجر ذكره من قبل، كقوله تعالى "كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ "[5]، أي: من على الأرض.

3- الاختصاص بعد العموم، العرب تفعل ذلك فتذكرالشيئ على العموم ثم تخص منه الأفضل فالأفضل،فتقول:جاء القوم والرئيس والقاضي، وفي القرآن الكريم، قوله تعالى:"حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ"[6].

[1]: الثعالبي،فقه اللغة وسر العربية،ص 23،24،25
[2]: ينظر، صبحي الصالح،دراسات في فقه اللغة، ص 24
[3]: ينظر،الرديني،المعجمات العربية،ص 148
[4]: سورة الكهف، الآية: 96.
[5]: سورة الرحمن، الآية: 26
[6]: سورة البقرة، الآية: 238

فالله تعالى أفرد الصلاة الوسطى من الصلاة وهي داخلة في جملتها.

4- في العموم بعد الاختصاص، وذلك كقوله تعالى :"وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ "[1]، فخص السبع ثم أتى بالقرآن العام بعد ذكره إياها.

5- في ذكر المكان والمراد به من فيه، العرب تفعل ذلك، قال الله تعالى:"وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا "[2]، والقصد هنا اسأل أهل القرية .

6- ما كان ظاهره أمر وباطنه زجر، كقولهم :"إذا لم تستح فافعل ما شئت".

7- في الحمل على اللَّفظ والمعنى للمجاورة،كقول امرئ القيس:

كأن ثبيرا في عرانين وبله   كبير أناس في بجاد مزمل

"فالمزمل" نعت "للشيخ" لا نعت "للبجاد" وحقه الرفع ولكن خفضه للجوار.[3]

هذه بعض فصول القسم الثاني من الكتاب"سر العربية"، وعموما الذي يعنينا هنا هو القسم الأول الخاص بمعاجم الموضوعات، وقد ذكر الثعالبي في مقدمته عن عنوان الكتاب قوله: "وقد اخترت لترجمته وما أجعله عنوان معرفته، ما اختاره أدام الله توفيقه، من" فقه اللغة" وشفعته "بسر العربية" ليكون اسمًا يوافق مسماه ولفظًا يطابق معناه"[4].

والثعالبي من العلماء الذين أثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم وقد قال عنه بروكلمان إنه أوفر كتَّاب القرن الخامس الهجري إنتاجا مع ماله من مكانة علمية كبيرة.

واعتمد الثعالبي على طريقة خاصة في تبويب ووضع فصول كتابه، فلو أمعنا النظر في الأبواب والفصول لوجدنا أن الأبواب تختلف فيما بينها من حيث عدد الفصول، فأكثر الأبواب فصولا الباب الخامس عشر وعدده خمس وستون فصلا، وأقل الأبواب فصولا الباب الرابع، والسابع والعشرون وعدد فصولهما ثلاثة.

أما فيما يختص بمنهجه في الشرح والتفسير، فالواضح أنه كان يعتمد على:

---

[1]: سورة الحجر، الآية: 87

[2]: سورة يوسف، الآية: 82

[3]:ينظر،الثعالبي،فقه اللغة وسر العربية،ص247،248،249،250

[4]: المصدر نفسه،ص 25

1- ذكر التفسير ثم يأتي باللفظ الدال عليه مثل قوله: "حركة النار:لهب،حركة الهواء:ريح، حركة الماء: موج، حركة الأرض: زلزلة، وأحيانًا يذكر اللفظ ثم يفسره مثال ذلك: الكَمد : حزن لا يستطاع إمضاؤه، البثُّ :أشد الحزن، الكرب: الغم الذي يأخذ بالنفس، السدم : هم في ندم"[1]، ويغلب على كتاب الثعالبي السهولة والوضوح في العرض والتفسير وطرق التفسير عنده هي:

2- يهتم في التفسير بتقسيم المعنى وإيراد اللفظ مع ما يناسبه ويتصل به، وهو ما يسميه بالتقسيم من ذلك قوله : "ولدت المرأة، نتجت الناقة والشاة، وضعت الرمكة والأتان"[2].

3- يهتم في التفسير بترتيب الأشياء، ويقصد بالترتيب هنا هو ترتيب درجات الوصف كترتيب ضخم المرأة والرجل، وحسن المرأة، وسمن الدابة والشاة والناقة، وهزال الرجل والبعير،وترتيب القصر والطول..الخ..، ومن الأمثلة على ذلك قوله في ترتيب الطول: "رجل طوِيل ثم طوال، فإذا زاد فهو شوذب وشوقب، فإذا دخل في حد ما يذم من الطول فهوعشنط وعشنق، فإذا أفرط طوله وبلغ النهاية فهو شَعلع وعَنطْنط وسقعطرى"[3]

4- التفسير الوصفي المختصر: لقد كان يفسر الكلمة بوصف معناها وبيان ما فيها كأن يقول: إذا كان كريم الأصل، رائع الخلق، مستعدًا للجري والعدو فهو: عتيق وجواد"[4].

5- التفسير الوصفي المفصل: من ذلك قوله:"ابن طبق، حية صفراء تخرج بين السلحفاة والهرهر وهو أسود سالخ ومن طبعه أنه ينام ستة أيام، ثم يستيقظ في السابع فلا يُنفخ على شيء إلا أهلكه قبل أن يتحرك، وربما مر به الرجل وهو نائم فيأخذه كأنه سوار ذهب ملقى في الطريق وربما استيقظ في كف الرجل فيخر الرجل ميتًا وفي أمثال العرب، أصابته إحدى بنات طبق"[5].

6- كان يفسر أيضًا بطريقة التلازم، وهي أن تتلازم كلمتان ترتبط إحداهما بالأخرى وخاصة في الفصول التي يتحدث فيها عن ترتيب الأحجام والصفات وما إلى ذلك مثال

---

[1]: الثعالبي،فقه اللغة وسر العربية،ص 147،149
[2]: المصدر نفسه،ص 145
[3]:المصدر نفسه ، ص48
[4]: المصدر نفسه،ص 132
[5]: المصدر نفسه،ص140

ذلك قوله:" رجل قصير ودحداح ثم حنْبلٌ وحزنْبل"[1].

7- ويلحظ عليه العناية بإيراد الكلمة الواحدة في السياقات أو المجالات المختلفة التي تقع فيها، أو بحسب علاقاتها بغيرها في الاستعمال مثال ذلك قوله:" كل شيئ يثور للضرر يقال له قد هاج، كما يقال : هاج الفَحلُ، وهاج به الدم، وهاجت الفتنة،وهاجت الحرب،وهاج الشَّر بين القوم، وهاجت الرياح الهوج"[2].

8- كما كان يهتم أثناء الشرح والتفسير بكلام العرب وأئمة اللغة، وما تستعمله من ألفاظ، من ذلك قوله : أكثر الأدواء والأوجاع في كلام العرب على ُفعال، كالصداع والسعال، والزكام، والبحاح والُقحاب، والخنان[3].

9- ونجد أنه لم يغفل أيضًا الناحية النحوية والصرفية، فذكر ما جاء مصغرًا: كقوله في أسماء الدواهي: منها ما جاء على التصغير: جاء بالربيق، والأُريق ثم بالدويهية، والخويخية،وما جاء على وزن فاعله كقوله: نزلت بهم نَازِلة،ونائِبة، وحادثة، ثم آبِدة، وداهية وباقعة، وما جاء مفردًا أو جمعًا كقوله: كل شيء من النخل سوى اللِّين واحدته لِينة .

10- اعتمد الثعالبي على شواهد متنوعة، من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر، كلها جاءت لإثبات اللفظ والتأكيد على أن ما قاله قد ورد عن العرب فعلا من ذلك قوله:"الحافرة أول الأمر وهي من قول الله عز وجل: "يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ "[4]

ومن استشهاده بالحديث قوله: الفرط أول الوراد، وفي الحديث:"أنا فرطكم على الحوض" أي أولكم[5]، ومن استشهاده بالشعر قوله: القضيم، الجلد الأبيض، عن أبي عبيدة،وأنشد للنابغة:

كأن مجر الرامسات ذيولها عليه قضيم نمقته الصوانع[6].

وكان الثعالبي في تعامله مع الشواهد الشعرية،كثيرا ما ينسبها لقائليها ونادرًا ما يقوم بشرح الشواهد أو التعليق عليها.

---

[1]: الثعالبي، فقه اللغة،ص 49

[2]:المصدر نفسه،ص 31

[3]: ينظر،المصدر نفسه،ص113

[4]: سورة النازعات،الآية 10.

[5]:ينظر،الثعالبي،فقه اللغة وسر العربية،ص 41

[6]:المصدر نفسه،ص 78

وخلاصة الأمر أن كتاب فقه اللغة للثعالبي كتاب قيم بما فيه من موضوعات اهتمت باللغة العربية وأسرارها الدقيقة في شتى الموضوعات، كما امتاز أسلوب المؤلف بالسلاسة والوضوح مع الإيجاز في معظم المواضع، إذ كان يميل إلى الجمل القصيرة الواضحة.

والطابع المميز لمادة الكتاب اللغوية، أنه يقوم على توخي الدقة في المدلول والتخصيص في المعنى،ما يكشف بوضوح غنى اللغة العربية بالألفاظ، واتساعها وشمولها، وهذا ما جعل الثعالبي يردف عنوان كتابه "فقه اللغة"، بعنوان ملحق ذي مغزى في خصائص هذه اللغة وهو "سر العربية"، والجدير بالذكر أن كتاب الثعالبي قد طبع مرارا في أوربا والأقطار العربية إلا أن أحسن طبعاته هي:

1- طبعة بيروت بعناية الأب لويس شيخو، أصدرتها المطبعة اليسوعية لأول مرة سنة 1885م.

2- طبعة القاهرة بتحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، سنة 1954م.

3-طبعة أخرى في القاهرة بتحقيق أحمد يوسف علي، وأصدرتها مطبعة الاستقامة سنة 1959م[1].

2- سياقات التأليف:

كتب الثعالبي معجمه "فقه اللغة وسرالعربية" في ظروف نشأ فيها وترعرع، وعايش أوضاعا تميزت بالاضطرابات والاختلالات والانقسامات على جميع الأصعدة،خاصة منها السياسية والاجتماعية،وسنعرض أهم السياقات التي صاحبت ميلاد مؤلفات الثعالبي خاصة منها كتاب "فقه اللغة وسر العربية" الذي هو مادة دراستنا.

1- السياق السياسي:

انتهت الفترة الأولى من الخلافة العباسية باستيلاء البويهيين على بغداد-عاصمة الخلافة العباسية-، ويمكن الإشارة إلى أن هذه الفترة عرفت اضطرابات شديدة لم يسبق للخلافة الإسلامية أن شهدتها،فنشبت الحروب والفتن، وأدى ذلك إلى تمزق المملكة الإسلامية في القرن

[1]:ينظر، الرديني ، المعجمات العربية،ص149.

الرابع الهجري، وانقسمت إلى دويلات، مستقلة عن الدويلات الأخرى،كل ولاية يسيطر عليها أمير من الأمراء، فأصبحت فارس والري واصبهان والجبل في يد البويهيين، وكرمان في يد محمد بن الياس، وصارت الموصل وديار ربيعة وديار بكر وديار مضرفي أيدي بني حمدان، أما مصر والشام فصارتا تحت سلطة محمد بن طغج الاخشيد، والمغرب وإفريقية في يد الفاطميين وصارت الأندلس في يد عبد الرحمان الناصر الأموي، وخراسان في يد نصر بن أحمد الساماني، وكانت الأهواز وواسط والبصرة في يد البريديين، واليمامة والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي، وطبرستان وجرجان في يد الديلم[1]، ويذهب البعض إلى أن البلاد العربية بلغت قدرا من السعة والانتشار يتعذر معه بقاؤها، هذا إضافة إلى المنافسات السياسية والصراعات الدينية، واتسمت الخلافة العباسية في هذا العصر بالضعف والوهن، وذلك لأسباب كثيرة، من بينها:

– ضعف الخلفاء العباسيين المتزايد، وقوة شأن الدويلات المستقلة عن السلطة.

– نفوذ الأتراك الذين كثر تسلطهم ببغداد فبالغوا في المصادرات ونهبوا أموال الناس، وأحرقوا المنازل والأسواق، وتدخلوا في شؤون الدولة، وأصبحوا ينصبون من يشاءون ويعزلون من يشاءون وتزايد تدخلهم في أمور الدولة، حتى أصبح الخلفاء مسلوبي السلطة ضعيفي الإرادة، وتقلصت رقعة حكم الخليفة، فلم يبق تحت يده إلا مدينة بغداد وأعمالها، أما في باقي الإمارات المستقلة، فكان دوره شكليا يتمثل في الاعتراف له بالسيادة العليا للدولة والدعاء له في المساجد، وإرسال الهدايا إليه كل سنة، وكانت سيرة الخلفاء العباسيين في هذا العصر كسيرة أمراء الدويلات في القسوة وإهمال شؤون الرعايا، وإثقالهم بالضرائب[2].

كما أدى ضعف الخلافة في هذه الفترة إلى ازدياد نفوذ الوزراء، فاشتدت المنافسة على هذا المنصب مما أدى إلى تفشي وانتشار الرشوة ابتغاء الوصول إلى منصب الوزارة.

وكثرت تولية الوزراء وعزلهم، إلى جانب تولية العهد أكثر من واحد، مما أدى إلى قيام المنافسة بين الأمراء في البيت الواحد، هذا إلى جانب تدخل نساء الخلفاء في أمورالحكم وشؤون الدولة كما ساهمت في إضعاف الدولة العباسية تلك الثورات والفتن التي نشبت في بغداد ونيسابور وغيرهما، وقد شغلت ثورة الزنج جيوش الدولة لعدة سنوات، كما روعت

[1]: ينظر، آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،تر،محمد عبد الهادي أبو ريدة،ط2،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1948،ص 268

[2]: ينظر، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،مطبعة السعادة،مصر،1960،ص 245

فتنة القرامطة جزيرة العرب زهاء ثلاثين سنة،هذا إضافة إلى ثورات الروم الذين أغاروا على بلاد المسلمين، فقتلوا وخربوا ونهبوا.

هكذا كان حال الدولة العباسية، حين ضاعت هيبة الدولة والخلفاء بمقتل المتوكل، تحكم في الدولة المتسلطون من الأتراك، ثم البويهيون ثم السلاجقة، فطبيعي أن يسود الفساد، وتعم الشرور، من جراء المنازعات التي قامت بين العناصر الطامعة في السلطة.[1]

2- السياق الاقتصادي:

لقد شهد العصر العباسي تطورا اقتصاديا واسعا، فقد وجه الخلفاء العباسيون عناية فائقة لتنمية موارد الثروة في بلادهم، فطوروا الزراعة التي نشطت في بداية العصر، ثم أخذت تزدهر ازدهارا فائقا، فأقاموا المدارس الزراعية، وتوسعوا في البحوث النظرية، ودرسوا أنواع النباتات، وصلاحية التربة، واستعمال الأسمدة،كما عملوا على الاهتمام بوسائل الري، فشقوا الترع، والمصارف، وأقاموا السدود، وجعلوا عليها موظفين يسهرون على صيانتها، عرفوا بالمهندسين وقد بلغ نظام الري درجة كبيرة من الدقة، أفاد منه الأوربيون[2] .

وقد نالت الأراضي الواقعة بين دجلة والفرات حظا وافرا من هذا النظام، فتحسنت الزراعة بها، وأصبح العراق وجنوب فارس مزدهرا بالزراعة، كما عمرت الأقاليم الممتدة بن الكوفة والبصرة بالقرى والضياع وعرفت بغداد وخراسان ومصر وغيرها من الحواضر بكثرة ثمارها وتنوعها، كماتطورت زراعة الأزهار والرياحين، كما كان للصناعة في العصر العباسي الثاني حظ كبير من عناية الخلفاءوالسلاطين والأمراء الذين اهتموا باستخدام موارد الثروة على اختلافها، وذلك باعتبارها موردا هاما من موارد الاقتصاد، فتطورت صناعة المنسوجات بأنواعها المختلفة، وكانت أكبر مراكز صناعة القطن توجد شرق فارس، بمرو ونيسابور، ومراكز صناعة الكّتان بمدينة كازرون بفارس، والفيوم، ودمياط، أما صناعة المنسوجات الحريرية فكانت في العراق، وفارس، والشام، والقاهرة، وكانت فارس والعراق تنتج أفخر أنواع السجاجيد، كما تطورت صناعة الخزف والزجاج، وخاصة في بلاد الشام التي تفنن أهلها في زخرفة الزجاج، حتى اّتخذوا في ذلك طرازا خاصا بهم، وأحدث القرنان الثالث والرابع انقلابا

[1]: ينظر، ابن الأثير،الكامل في التاريخ7،إدارة الطبعة المنيرية،مصر،ص 13،17

[2]: ينظر، حسن إبراهيم حسن،تاريخ الإسلام،ص 319

عظيما في صناعة الورق فحرر مادة الكتابة من احتكار بلد من البلاد له واستئثارها به، وصيراه رخيصا جدا فراجت صناعة الورق في العصر العباسي الثاني،كما انصب اهتمام الدولة الإسلامية على استغلال الثروة المعدنية، من ذهب وفضة وأحجار كريمة وحديد، و تطورت صناعة الجواهر من لؤلؤ، وياقوت أحمر وأزرق، وزمرد، وماس، كانت تقتنيها الطبقة المترفة، في حين اكتفت الطبقة الفقيرة بالفيروز والجزع.[1]

وطبيعي أن تنشط حركة التجارة لتطور الفلاحة والصناعة، فقد كانت التجارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري مظهرا من مظاهر أبهة الإسلام، وصارت السيدة في بلادها، وكانت سفن المسلمين وقوافلهم تجوب كل البحار والبلاد، وأخذت تجارة المسلمين المكان الأول في التجارة العالمية، وكانت الإسكندرية وبغداد هما اللّتان تقرران الأسعار للعالم في ذلك العصر، وقد اهتم الخلفاء منذ بداية العصر العباسي بتسهيل سبل قوافل التجارة، فأقاموا الآبار في الطرق، وأنشأوا المنائر والثغور، وبنوا الأساطيل لحماية السواحل من الإغارات، فنشطت التجارة الداخلية والخارجية، وكانت بغداد أهم مركز تجاري في الدولة العباسية بفضل موقعهاالجغرافي، وبفضل القناة الملاحية التي مدها العباسيون إليها من الفرات، وكان لكل نوع من التجارة شوارع معلومة، فلا تختلط تجارة مع أخرى من غير نوعها،كما ازدهرت مراكز تجارية أخرى كالبصرة، ودمشق والقاهرة،[2] واشتهرت أصبهان بكثرة أسواقها، وشهدت التجارة الخارجية نشاطا كبيرا، فكانت القوافل والسفن التجارية تجوب الكثير من البلاد والبحار، وتعددت الرحلات البحرية التي كانت تنطلق من بغداد وتسير في الخليج الفارسي إلى الشرق الأقصى، فقد وصل التجار المسلمون إلى الهند والصين، وأفرط الخلفاء ومن يواليهم في أسباب الترف، فبالغوا في اقتناء الجواري من جنسيات مختلفة، وتأنقوا في اتخاذ الفرش من الديباج والحرير، وأكثروا من بناء القصور والمنتزهات، وتفننوا في أنواع الألبسة والأطعمة والأشربة اقتداء بالفرس.[3]

---

[1]: ينظر، محمد جمال الدين سرور،الحضارة الإسلامية في الشرق،القاهرة،1965،ص 135،136
[2]: ينظر، محمد جمال الدين سرور،الحضارة الإسلامية في الشرق، ص 143،144،146
[3]: ينظر، آدم متز،الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،ص 273

3- السياق السوسيو ثقافي:

تميزت تركيبة المجتمع العباسي في القرن الرابع الهجري، بالتنوع والاختلاف نتيجة الامتزاج الحاصل بالحضارات الأخرى، وكذا بسبب انقسام المجتع العباسي إلى دويلات،كل دويلة تختلف عن الأخرى بنظامهاوتسلطها ومحاولة التحكم في زمام الخلافة، فترواحت أجناسه بين العرب والفرس والترك والروم والزنج وغيرهم،[1] ورغم خضوع هذه العناصر إلى سلطان خليفة واحد، وانزوائها جميعا تحت لواء الدين الإسلامي، إلا أنها كانت متناحرة فيما بينها من أجل الجاه وبسط النفوذ، ومحاولة الوصول إلى السلطة والسيطرة على الطوائف الأخرى، ولم يكن للعنصر العربي نفوذ يميزه عن باقي العناصر الأخرى، في هذا العصر،ولكن العرب رغم ذلك ظلوا محافظين على عاداتهم وتقاليدهم، ووقفوا ضد المظاهرالسلبية في المجتمع، كالفساد والزندقة والإلحاد والشعوبية التي كانت خطرا على العرب والإسلام، أما العنصر الفارسي، فقد كان له تأثير كبير في الحياة الاجتماعية، تجلى في بناء القصور والمساجد والتفنن في زخرفتها و فرشها، وكذا في أنواع الملابس وأدوات الطعام والشراب، وإحياء مجالس الطرب والغناء،أما نساء الخلفاء والأمراء فقد استكثرن من العطور وأنواع الطيب،وبالغن في زينتهن وأناقتهن،فكن يرفلن في الثياب الحريرية والجواهر، وأما الترك فلم تكن لهم مدنية ولا حضارة قديمة بل كانوا أشبه بالبدو وكثرت في عهدهم الفوضى والمصادرات والاضطرابات، والعبث بمصالح الرعية أما الروم فكانوا من العناصر التي دخلت الدولة الإسلامية، وكان لها تأثير في الحياة الاجتماعية، ولم تعمد الدولة الإسلامية إلى التدخل في الشعائر الدينية لأهل الذمة، بل كانت من أكثر الدول في التسامح مع المخالفين لها في الدين، وقد منح أهل الذمة من الحقوق ما دفعهم إلى العزوف عن الاندماج مع المسلمين، وبلغ بعض الخلفاء العباسين من التسامح ما جعلهم يحضرون مواكب أهل الأديان الأخرى، وأعيادهم، و يأمرون بصيانتهم،[2] وكان من مظاهر هذا التسامح الديني نشوء علم مقارنة الأديان، والإقبال عليه بشغف كبير، وربطت المسلمين بغيرهم من أهل الديانات الأخرى أوثق الروابط الاجتماعية في القرن الرابع الهجري، وكان المجتمع آنذاك يتكون من ثلاث طبقات متباينة:

---

[1]: ينظر، محمد جمال الدين سرور،تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص 169،170

[2]: ينظر،أحمد أمين، ظهر الإسلام 2ط5،دار الكتاب العربي، بيروت،ص 12

- طبقة الأرستقراطيين من خلفاء ووزراء وأشراف وتجار كبار.
- طبقة متوسطة تتكون من تجار وملاك متوسطين ونحوهم.
- وطبقة فقيرة من صغار الفلاحين، والعمال، والعلماء الذين لم تشملهم رعاية الخلفاء والأمراء[1].

وشيئا فشيئا تباعدت الهوة بين طبقات المجتمع، فبينما كانت الطبقة المترفة تنفق في إسراف، كانت عامة الشعب تعاني البؤس والحرمان والفقر المدقع، وعاش الأثرياء في هذا العصر معيشة حضارية مترفة تّتسم بالأناقة والترف والزينة، لا صلة لها بالبادية ولا بالحياة العربية القديمة،[2] وكانت بغداد حاضرة الخلافة العباسية أهم مدينة في العالم العربي تمثل هذه الحياة الجديدة.

ولقد كان للتفاوت الطبقي أسوأ الأثر في الحياة الاجتماعية، فقد عم الجهل والمرض، وانتشر الفقر والبؤس، وشاعت الفوضى واللّصوصية، وراج السحر والدجل والشعوذة بين أفراد الطبقات الدنيا في المجتمع، أما الأغنياء فقد شاع بينهم الانحلال والفساد، وكثر الفسق والمجون بسبب الترف الفاحش، والفراغ القاتل، والقلق المميت.*

وانتشرت مجالس الغناء بين الخاصة والعامة في هذا العصر، مما أشاع المجون والانحلال في المجتمع، وأدى إلى انصراف الخلفاء إلى اللهو والطرب، وانشغالهم عن أمور الحكم والرعية، فضاعت مكانتهم وخضعوا لسيطرة الموالي من فرس وأتراك، ونالت المرأة من الحرية ما جعلها تتدخل في شؤون الدولة.

ولقد أدى التفاوت الطبقي في المجتمع، وسوء توزيع الدخل بين طبقاته إلى انتشار المجون بين الأغنياء بسبب الفراغ وكثرة الأموال، وبين أفراد الطبقة الفقيرة لأن الحاجة والضرورة تبيح المحظور[3].

---

[1]: ينظر،المرجع نفسه،12/2

[2]: ينظر،حسن إبراهيم حسن،تاريخ الإسلام،ص 434

*: للاطلاع على أهمية هذا العنصر من خلال كتاب فقه اللغة، ينظر المخطط الذي يعبر عن طبقات الغنى والفقر في القسم الثالث من هذا البحث.

[3]: ينظر، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام،ص 435،436

هكذا كانت أحوال المجتمع العباسي تتراوح بين طبقة غارقة في البذخ والترف، هم أصحاب النفوذ وحواشيهم من كبار الدولة، وطبقة أخرى كانت تكدح لتملأ حياة هؤلاء بأسباب النعيم، أما هي فقدر لها أن تتجرع غصص البؤس والشقاء.

لكن رغم الاضطرابات الحاصلة في المجتمع العباسي بسبب تردي الأوضاع السياسية والاجتماعية، إلا أن الحركة العلمية عامة والفكرية على وجه خاص، في هذه الحقبة واصلت تطورها وازدهارها، وبلغت أعلى المراتب خاصة في النصف الأول من هذه الفترة ووصلت فروع المعارف العلمية إلى أكثر من ثلاثمائة فرع، حيث وضعت أصول الطبيعيات وارتقت الفلسفة وكثرت كتب التاريخ ومعاجم اللغة، ولم تتأثر هذه الحركة الفكرية بالضعف الذي أصاب الدولة العباسية على الصعيد السياسي والاجتماعي، ونضجت العلوم والفنون، وأثمرت مؤلفات تعد حتى اليوم من أهم المصادر في شتى ضروب المعارف، ولعل صمود الحركة الفكرية في وجه انقسام الدولة العباسية يعود إلى عدة أسباب أهمها، أن وحدة العالم الإسلامي ظلت قائمة، فلم يشأ حكام الدويلات القضاء على الخلافة الإسلامية فحكموا باسم الخليفة في بغداد، للإفادة من النفوذ الروحي الذي تمتع به خلفاء بني العباس، إلى جانب صمود اللغة العربية التي ظلت لغة الدواوين والكتابة في بلاطات فارس وخراسان، مما أدى إلى تماسك الدولة الإسلامية أدبيا وثقافيا، فقد تحمس الأمراء والسلاطين للثقافة الإسلامية والأدب العربي، وكأن اللغة العربية وآدابها لم تخسر شيئا بانتقال السلطة التنفيذية من بغداد إلى أصبهان، وجرجان، والري، ومرو، ونيسابور، وبخارى، وغيرها من بلاد العجم[1].

ولا يحق لنا أن نغفل دور الأمراء و الحكام، و تشجيعهم للحركات الأدبية في هذه المراكز، ويذكر على وجه الخصوص بنو بويه – الذين كان أغلبهم أدباء – وقد أشاد بهم الثعالبي في يتيمته، بل إن الحكام عمدوا إلى المنافسة في تقريب الأدباء الممتازين للتباهي بهم، كما استوزروا كبار الأدباء في أقاليمهم، فنجد العميد–والد ابن العميد–عند السامانيين، إلى جانب الإسكافي الكاتب، وبعضا من أسرة بني ميكال، وعند البويهيين نجد ابن العميد، والصاحب بن عباد، وفي الدولة الزيارية نجد أميرها قابوس بن وشمكير الذي اشتهر بالكتابة، وعمد السلطان محمود الغزنوي إلى تقريب أبي الفتح البستي، كما أنه أرسل

[1]:ينظر،أبو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر2،تح،مفيد محمد قميحة،دار الكتب العلمية،بيروت 1983 ص 257

إلى الملك خوارزم شاه ليبعث له بعض العلماء والفلاسفة للاستمتاع بمجالستهم، والإفادة منهم،فزاره كل من البيروني، والخمار، والعراق.

وتحمس الأدباء لهذا التشجيع، فأخذوا ينتقلون من بلاط إلى آخر، وشاعت بينهم ظاهرة تأليف الكتب للملوك والأمراء، فنجد" أن الثعالبي ألف كتاب" لطائف المعارف"للصاحب بن عباد و"المبهج "و"التمثيل والمحاضرة "لشمس المعالي قابوس بن وشمكيرو"سحر البلاغة " و"فقه اللغة "للأمير أبي الفضل الميكالي، و"النهاية في الكناية "و"نثر النظم" و"الطرائف والظرائف " لمأمون بن مأمون أمير خوارزم، كما عمل الخلفاء والأمراء على استقدام حملة الثقافات الأجنبية إلى بلاطاتهم، من يهود ونصارى وفرس ورومان، ودعوا إلى التسامح معهم، حيث منحوا حرية الرأي والعمل.

وساعد الاستقلال الاقتصادي لهذه الإمارات على نبوغ العلماء والشعراء، بعد أن كان يتحتم عليهم شد الرحال إلى بغداد، و انتظار الدور طلبا للشهرة، فنبغ شعراء كبارخارج بغداد كالمتنبي وابن الرومي وغيرهم[1] .

فتعددت المراكز الفكرية مثل قرطبة والقاهرة وبخارى وغزنة وحلب وأصبهان والري وسمرقند، تنافس بغداد حاضرة العباسيين في الحضارة والعلوم والآداب كما ساهمت دكاكين الوراقين في هذه النهضة العلمية، وكانت بغداد تتباهى باحتوائها أكثر من مئة حانوت للوراقين في سوق واحدة و تعددت دور العلم،اوكان في كل جامع كبير مكتبة، ورغم ظهور المدارس ظل المسجد محافظا على أهميته كمركز ثقافي علمي، تتنوع فيه حلقات الدرس بين النحو وعلم الكلام والأدب والنقد وإنشاد الشعر وعقد المناظرات في قضايا فقهية ولغوية وأدبية ومنطقية يختلف إليها طلاب العلم من الشباب والشيوخ كما كانت تعقد هذه الحلقات أيضا في بيوت الطبقة الأرستقراطية، وعرفت بمجالس الأدب، هذا فضلا عن مجالس الأمراء والوزراء، كالتي كانت تعقد في بلاط سيف الدولة، وكان يرتادها كل من المتنبي و أبي فراس والفارابي وابن خالويه وغيرهم[2].

---

[1]: ينظر، أحمد أمين،ظهر الإسلام2/2

[2]: ينظر، آدم متز،الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،ص 243،249،

وتطورت طرق التدريس في المؤسسات العلمية الجديدة في هذا العصر،" فالقرن الرابع الهجري هو الذي أظهر هذه المعاهد التي بقيت إلى أيامنا، ويدل مجموع الأخبارالتي انتهت إلينا على أن نيسابور كانت مهد هذه المعاهد، وكانت أكبر مراكز العلم في خراسان[1] "، وزاد الإقبال على دراسة القرآن والحديث، فأُلفت كتب كثيرة في هذا المجال، كما ظهرت في القرن الرابع الهجري كتب تعالج تصحيفات الحديث، وأفادت الثقافة الإسلامية من اللغات الأجنبية، وذلك بنقل العلوم والمعارف من اليونانية والفارسية والهندية والسريانية والنبطية، فحركة الترجمة التي بدأت منذ العصر الأموي والعباسي الأول نضجت في القرن الرابع الهجري، وأولى خلفاء بني العباس هذه الحركة عناية فائقة، حتى إن بعضهم طلب من الروم كتبا بدل الجزية، وكان نتيجة امتزاج الأجناس المختلفة نشوء ثقافة جديدة جاءت باللغة العربية وسعت طاقتها الروافد الكثيرة والمتنوعة، وأثرتهاالمعاني العقلية والفلسفية، كما ظهرأسلوب مولد جديد يحافظ على الصورة النحوية والتركيبية للغة العربية، وابتكرت ألفاظ جديدة للدلالة على المصطلحات الفلسفية والعلمية، كما عربت ألفاظ فارسية وكان تشجيع الأدباء مبعث نهضة أدبية كبيرة فاقت كل الحركات التي سبقتهامن وجهة التفنن في الصناعة والكتابة الديوانية، وأدت هذه الأوضاع إلى اهتمام بالغ وتعطش عقلي شمل خاصة الناس وعامتهم، فعمد الأدباء إلى التأنق في الكتابة فموجة التصنيع في القرن الرابع الهجري كانت حادة حدة شديدة لم يسلم منها أحد إلا في القليل الأقل، وبعد أن كانت المحسنات اللفظية مقصورة على الرسائل الرسمية، فإنها في هذا العصر تعدتها إلى الرسائل الشخصية، وأصبحت هذه الرسائل وسيلة للتكسب فشمل السجع حتى كتب التاريخ.[2]

وقد بالغ الكتاب في تضمين مؤلفاتهم الآيات والأحاديث والأسجاع والأمثال، وربما كان هذا الميل في التأنق في الكتابة تأثرا بأدب الفرس، أو ترفعا عن جماهير القراء من العامة، وتساميا لإنشاء بيئة ثقافية للطبقة الراقية في المجتمع.

وتعددت مواضيع النثر وتنوعت بين الغزل والمديح والهجاء والفخر والوصف، بعدأن كانت خاصة بالشعر، فاقتحم الكتاب مواضيع كانت خاصة بالشعر.

---

[1]: المرجع نفسه،ص253،254

[2]: ينظر، زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري1،ط2،مطبعة السعادة،مصر، 1957 ص 193

ونستطيع القول بصفة عامة أن التنافس كان شرسا بين الدويلات وحكامها في جلب العلماء والأدباء، الشيئ الذي دفع بالنهضة العلمية والأدبية إلى التقدم، وتعددت مراكز الثقافة لتكون بمثابة مكان اغتراف للعلم كحلب، والقاهرة، وقرطبة، ولا شك في أن التطور الذي عرفته الحركة العلمية والفكرية في هذه الفترة- رغم الاختلالات الحاصلة في المجتمع بفعل الأوضاع السياسية المتردية والانقسامات الحاصلة-راجع من الدرجة الأولى إلى الاهتمام البالغ الذي أولاه الخلفاء والحكام بالحركة العلمية التي بلغت أوج رقيها خاصة مع المأمون إذ كان عالما بارزا، وشديد الرغبة في الفلسفة، عظيم التقدير لعلوم اليونان، فوقف جهوده العلمية على الترجمة، وعمل على توسيع نطاقها وتنظيم جهودها فبنى لهذا الغرض دارا خاصة سماها "بيت الحكمة"، جهزها بمكتبة كبيرة وأنشأ فيها حلقة للمناقشة ومعهدا للترجة، واستقدم إليها أبرع المترجمين، وعرفت في تلك الفترة مراكز أخرى للدرس والنقل فضلا عن بغداد،منها مدينة "مروقي" أواسط فارس، وقاعدة "جنديسابور" في غربها، فغلبت على الأولى العناية بالرياضيات والفلك وانقطعت الثانية إلى الاهتمام بشؤون الطب، وكانت "حران" من أهم المراكز التي عملت بالترجمة. وإذا أمعنا النظر في مؤلفات الثعالبي نجدها تنم عن شخصية متشبعة بثقافة عصرها، مرتوية من ينابيع العلم والمعرفة والفكر، متطلعة على الحضارات الأخرى، عكس في معظم مؤلفاته مجتمعه وكل ما يحيط به، فمعجمه "فقه اللغة وسر العربية" مرآة عاكسة للموجودات التي ميزت الفترة التي عايشها.

3- تأثر الثعالبي بكتابات سابقيه:

لقد قدر للثعالبي أن يولد في وسط يزخر بألوان العلوم والآداب، فراح يفيد من معارف عصره المتنوعة، ولم يتقيد بعلم معين، وإنما نوع في معارفه واختصاصه، فخاض في البلاغة والنقد واللغة والتاريخ والأخلاق، وهذا ما يفسرتنوع مواضيع مؤلفاته التي وصفت بموسوعة ثقافة القرن الرابع، والتي لا يستغني عنهاعالم أو أديب،ولا شك أن الثعالبي أفاد من مجالس العلم التي كانت منتشرة في نيسابور وغيرها، مماوفر له قدرا كبيرا من المعرفة، فجاءت ثقافته موسوعية متعددة الجوانب وتبقى القراءة المصدر الرئيس في تكوين الثعالبي الذي يصرح بأن نهمه للقراءة يوازي نهمه للأكل وربما فاقه[1].

[1]: ينظر، محمود عبد الجادر،الثعالبي ناقدا وأديبا،ص 47،48

وكان القرآن الكريم المصدر الأول الذي ركز عليه الثعالبي، فهو يرى أن حبه للغة العربية نابع من حبه لله ورسوله، " إن من أحب الله أحب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن أحب النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي نزل بها أفضل الكتب، على أفضل العرب والعجم"[1] ، ويتجلى إعجابه بإعجاز القرآن وبلاغته فيما ألفه من كتب. هكذا إذن نجد أن الثعالبي لم يقترن بشيخ من شيوخ عصره، ولعلّ هذا ما يفسر ثقافته الموسوعية، وعدم تخصصه في مجال معرفي معين، هذا باستثناء أبي بكرالخوارزمي الذي تبدو بصماته في توجيه ذوقه فقد قدمه على فضلاء خوارزم،وتبسط في ذكر غرره في أغراض شتى،[2] واستمد الثعالبي "بعض مزايا أسلوبه من أسلوب شيخه الخوارزمي وصديقه أبي الفتح البستي وبديع الزمان الهمذاني، فغلب السجع على نثره، وغلب الجناس على شعره،وطغى التأّنق على ألفاظه ومعانيه"[3]، كما أفاد من أعلاm كثيرين روى عنهم في مؤلفاته، ولكن رواياته عن الخوارزمي فاقت ما رواه عن هؤلاء الأعلام جميعا، وإن لم يصرح بتلمذته عليه، إلا أنه كان يميل إلى تلقيبه" بالأستاذ الطبري " في كل رواياته عنه في الكناية والتعريض "والظرائف واللّطائف "فكلمة أستاذ "تحمل كل التقدير والاحترام الذي يكّنه الثعالبي لأستاذه، في حين نجده أكثر تصريحا في حديثه عن أبي الفتح البستي الذي كان صديقا عزيزا على قلبه، حين عد نفسه من زرع بست:

عشقت الجود جدا فهو طبعك * وبست تراب" بست "فهي ربعك**

وليس يريد هذا الدهر حصدي * لأني في بني الآداب زرعك**[4]

ويوضح الثعالبي مصادر مادة معجمه ويصرح بذلك في مقدمته حين يقول: "وتركت والأدب والكتب، أنتقي منها وأنتخب،وأفصل وأبوب،وأقسم وأرتب،وأنتجع من الأئمة مثل الخليل،والاصمعي،وأبي عمرو الشيباني،والكسائي، والفراء، وأبي زيد، وأبي عبيدة، وأبي عبيد، وابن الأعرابي،والنضر بن شميل،وأبي العباس، وابن دريد، ونفطويه، وابن خالويه، والخارزنجي،

[1]: أبو منصور الثعالبي،فقه اللغة وسر العربية،ص 10

[2]: ينظر، ابن خلكان،وفيات الأعيان،ص 352

[3]: محمود عبد الجادر،الثعالبي ناقدا وأديبا،ص293

[4]: ينظر، أبو منصور لثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر،تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت1983 ص345
أبومنصور الثعالبي،ديوان الثعالبي،تحقيق محمود عبد الله الجادر،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،1990،ص 97

والأزهري، ومن سواهم من ظرفاء الأدباء الذين جمعوا فصاحة البلغاء إلى إتقان العلماء، ووعورة اللغة إلى سهولة البلاغة،كالصاحب أبي القاسم، وحمزة بن الحسن الأصبهاني، وأبي الفتح المراغي وأبي بكر الخوارزمي والقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، وأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا القزويني، وأجتني من ثمارهم، وأقتفي آثار قوم قد أقفرت منهم البقاع، وأجمع في التآليف بين أبكار الأبواب والأوضاع ، وعون اللغات والألفاظ"، هكذا كانت مادة الثعالبي متنوعة وغنية، حاول أن يلم أبحاث من سبقه ومن عاصره،ويرجع هذا التنوع إلى كثرة ترحاله وتمسكه الشديد بالعلم والمعرفة.

المبحث الثالث: 'نظرية الحقول الدلالية عند العرب':

كان اهتمام العرب واضحا بنظرية الحقول الدلالية، فمنهم من قام بتطبيق هذه النظرية على مجال واحد من المجالات الدلالية المتعددة من خلال كتاب معين من كتب التراث.[1]

ونجد أن العلماء العرب قد اهتدوا إلى فكرة الحقول الدلالية، وإن لم يعطوها هذا الاسم من خلال الموضوعات التي عالجوها في رسائلهم اللغوية الصغيرة ككتاب الحشرات، والنخل، والنحل، والعسل، والسلاح ... الخ . وأيضًا في معاجم الموضوعات ككتاب 'الصفات للنضر بن شميل'، و'الغريب المصنف، لأبي عبيد'، و'المخصص، لابن سيدة و'فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي'، وسنسرد تفصيل ذلك في المبحث الثاني والثالث.

وتقوم فكرة هذه الدراسة على أساس جمع الكلمات أو المعاني المتقاربة ذات الملامح الدلالية المشتركة وجعلها تحت لفظ عام يجمعها، فكلمة بستان مثلا يمكن أن تدخل تحتها ألفاظ مثل: (أزهار، أشجار، خضرة، ماء، عصافير، ......) .

وكلمة حيوان تضم ألفاظًا مثل(أسد، كلب، خروف، ذئب، أرنب....)، وقد ذكر الدكتور أحمد مختار عمر، أن الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، وقد مثل بكلمات الألوان في اللغة العربية التي تقع تحت المصطلح العام ' لون ' وتضم ألفاظًا مثل: أحمر أزرق أصفر أخضر أبيض، وعرفه أُولمان بأنه، قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة، والحقل اللغوي هو الدائرة العامة التي تدور في فلكها معاني الكلمات المتقاربة كمعاني الألفاظ الدالة على الألوان أو على صلات القرابة، أو الأفعال الدالة على الحركة مثلا، ووفقًا لهذه النظرية فإن المعنى يتحدد من خلال الخواص التي تبرز من مقارنة معنى لفظ بنظائره في إطار الحقل اللغوي العام، مما يتيح إبراز الخواص المتقابلة للمعاني التي قد لا تتشبه ولكنها لا تتماثل تمامًا[2] .

---

[1]: ينظر، أبو منصور لثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ،ص 71 /224

[2]: ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 79

وقد اتفق أصحاب هذه الدراسة على جملة من المبادئ وهي :

- لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل، بمعنى أن الكلمة الواحدة لا تأتي في حقلين أو أكثر، فكلمة كأس مثلا لا تكون في حقل الوعاء وحقل الخضروات، فهي مختصة بحقل واحد فقط.

- لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين، أي أنه لا يمكن أن توجد كلمة ذات معنى ولا يكون لها حقل تنتمي إليه.

- لا يصلح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.

- استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي، فالكلمة لا معنى لها بمفردها فهي تكتسب معناها من علاقاتها بالكلمات الأخرى، فالمعنى يتحدد ببحث الكلمة مع أقرب الكلمات إليها في إطار مجموعة واحدة، لأن السياق والتركيب النحوي هو الذي يعطينا المعنى المقصود[1].

ولا يمكن الحديث عن جهود علماء العربية القدامى في مجال الألفاظ وسياقاتها، دون ذكر جهود 'الجاحظ' العظيمة في هذا المجال، فقد قدم مشروعا ضخما وهو كتاب 'الحيوان'، وتحدث فيه بشكل عام عن صنوف الحيوانات كلها، ولا نغالي إذا حكمنا وقلنا أن كتاب الحيوان المصدر الرئيس لكل الكتابات التي جاءت بعده، لأنه اكتسى صفة الشمولية، ويرى الباحثون أن الجاحظ قد عني بالجوانب الطبيعية في دراسة الحيوان، أكثر من اهتمامه بالجانب اللغوي، ولعله تأثر في هذا السياق بكتاب 'أرسطو'، كما عني كثيرا بقصص الحيوان وأخبارالعرب وأشعارهم، ولم يهمل الناحية اللغوية إهمالا كبيرا فكثيرا ما يعرض للألفاظ بالشرح والتفسير والاستشهاد، والكتاب يدل على سعة ثقافة صاحبه، بشموله النواحي العلمية والأدبية أولا واللغوية ثانيا، وكان عمله يشبه كثيرا تلك الرسائل اللغوية ومعجمات المعاني التي أفردها اللغويون برسائل مستقلة، فكان من الطبيعي أن يلجأ الجاحظ إلى الطبيعة فهي أساس بحثه، كما صرح به في المقدمة بل هي رؤيته لعالمه الخاص، أما اللغة وإن لم تكن الغالبة في نصوصه المبثوثة في الحيوان،

[1]: ينظر، صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية،ص 191،192

فإنه كان يعتمد عليها كثيرا في تفسير النصوص، غير أن الطابع النقدي هو الذي كان مهيمنا على هذا التفسير.[1]

فرؤية الجاحظ للغة العربية واضحة في كتابه، يقول: " فللعرب أمثلة واشتقاقات وأبنية، وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإرادتهم، ولتلك الألفاظ مواضع أخر، ولها حينئذ دلالات أخر"[2]

هكذا يدعو ضمنيا إلى التأسيس للمعجم الخاص الذي يصف اللغة الخاصة بفئة معينة، ولذا نراه في مشاريعه المختلفة يحاول جاهدا أن يجمع بين لغة العامة والخاصة واستخداماتهم للغة كما لا يتناسى لغة المتكلمين أيضا.

إذا وقفنا أمام كتاب الحيوان للجاحظ، لا شك أنه أول ما يشد انتباهنا، هو باب تقسيم العالم وهو فاتحة كتاب 'الحيوان'، يقول فيه:" إن العالم بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء: متفق، ومختلف، ومتضاد. وكلها في جملة القول، جماد ونام، وكان حقيقة القول في الأجسام من هذه القسمة، أن يقال: نام وغير نام، والناس يسمون الأرض جمادا، وربما يجعلونها مواتا إذا كانت لم تنبت قديما، وهي موات الأرض، والأرض هي أحد الأركان الأربعة التي هي الماء والأرض والهواء والنار، ثم النامي على قسمين: حيوان ونبات،والحيوان على أربعة أقسام: شيئ يمشي، وشيئ يطير، وشيئ يسبح، وشيئ ينساح، والنوع الذي يمشي على أربعة أقسام: أناس وبهائم وسباع وحشرات"[3]، هكذا يعطي الجاحظ إشارات واضحة لنظرية الحقل الدلالي بجمع لألفاظ تدور في سياق واحد عام يجمعها، ثم يفصل فيها من الداخل، عن طريق انتقاله من العام إلى الخاص.

هذا أنموذج عن عالم من علماء اللغة القدامى الذي مكننا من استكشاف فحوى نظرية الحقوق الدلالية، لكن دون أية إشارة إلى المصطلح الحديث الذي تتداوله اليوم الدراسات اللغوية الغربية والعربية، وسنحاول في المبحثين التاليين، أن نقدم رؤية واضحة حول جذور الاهتمام بالمعنى في سياق واحد، أي ما يعرف الآن بنظرية الحقول الدلالية، سوف نرجع بخطوات إلى الوراء ونسترشد بما قدمه القدامى، انطلقنا كما وضحنا سابقا، من اهتمامات الغرب في هذا المجال،

[1]: ينظر، صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية، ص 162،163
[2]: المرجع نفسه، ص 264
[3]: المرجع نفسه، ص264

ومررنا بالعرب الذين كانوا يولون اهتماما بالغا بالمعنى مما تقدم ذكره، خاصة عند نزول النص القرآني وانشار اللحن، فسارع علماء العربية، إلى حفظ اللسان العربي عن طريق وضع أسس وقواعد عامة، وبحوثا في هذا النطاق، عرفت فيما بعد بالمعاجم، هذه الأخيرة التي كان لها الفضل في حفظ اللغة العربية، وبالتالي حفظ التراث اللغوي العربي، وبينا كيف اختلفت هذه المعاجم من حيث تصنيفاتها، وللثعالبي باع في هذا الصدد، وذلك من خلال موضوعات كتابه 'فقه اللغة وسر العربية'، وهو موضوع فصلنا الموالي.

الفصل الثالث

البعد التراثي والتاريخي لنظرية الحقول الدلالية من خلال كتاب فقه اللغة

المبحث الأول: 'نظرية الحقول الدلالية من خلال كتاب فقه اللغة':

إن الناظر لكتاب الثعالبي فقه اللغة وسر العربية يمكنه الوقوف عند محطات عدة، ترتبط بالألفاظ والمعاني، وما يشد انتباهه أكثر هو طريقة التبويب التي اعتمدها الثعالبي والتي تسهم مساهمة فعالة في تسهيل عملية البحث، فالتبويب فصل في الموضوعات التي أراد الكاتب أن يطرحها، حيث نجده اعتمد كما ذكرنا ثلاثين بابا وهذا إن دل على شيئ فهو يدل على حرصه الشديد للتفصيل والتخصيص، يقول الثعالبي: "ولما عاودت رواق العز واليمن من حضرته، وراجعت روح الحياة ونسيم العيش بخدمته، وجاوزت بحر الشرف والأدب من عالي مجلسه، أدام الله أنس الفضل به، فتح لي إقباله رتاج التخيير، وأزهر لي قربه سراج التبصر في استمام الكتاب، وتقرير الأبواب، فبلغت بها الثلاثين على مهل وروية، وضمنتها من الفصول ما يناهز ستمائة"[1].

هكذا كان اهتمام الثعالبي بجانب التخصيص والتبويب والتفصيل، وما تجدر الإشارة إليه كذلك، هو الدقة التي ميزت ألفاظه وطريقة تفسيره للمعاني والتفرقة بين الألفاظ خاصة منها المنتمية إلى الحقل الدلالي الواحد، يقول الثعالبي في الباب الثالث 'في الأشياء':" لا يقال كأس إلا إذا كان فيها شراب، وإلا فهي زجاجة، ولا يقال مائدة إلا إذا كان عليها طعام، وإلا فهي خوان، ولا يقال كوز إلا إذا كانت له عروة، وإلا فهو كوب، لا يقال قلم إلا إذا كان مبريا، وإلا فهو أنبوبة، ولا يقال خاتم غلا إذا كان فيها فص، وإلا فهي فتخة، ولا يقال فرو، إلا إذا كان عليه صوف،وإلا فهو جلد، ولا يقال ريطة، إلا إذا لم تكن لفقين، وإلا فهي ملاءة، ولا يقال أريكة إلا إذا كان عليها حجلة، وإلا فهي سرير، ولا يقال لطيمة،إلا إذا كان فيها طيب، وإلا فهي عير، ولا يقال رمح إلا إذا كان عليه سنان، وإلا فهو قناة"[2] ، ونستطيع ربط هذه العلاقات بما سماه سوسير بالروابط التشاركية.

هذا أنموذج فقط من الأبواب الكثيرة التي دقق فيها الثعالبي لألفاظه وجعلها تختلف اختلافا واضحا في نطقها، رغم اجتماعها في كنف الحقل الدلالي الواحد، فبمثل هذه التحديدات الخاصة للمعاني يستمر الثعالبي في عرض موضوعه، وما يهمنا من خلال هذه الإطلالة الوجيزة هو مدى إدراك الثعالبي لنظرية الحقول الدلالية، من خلال ما عرضناه من اهتمام بألفاظ رغم اختلاف

[1]: الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية،ص 23
[2]: المصدر نفسه،ص 38

تسميتها فهي تشترك في حيز واحد وسياق عام، وهذا ما يعرف بنظرية الحقول الدلالية، والكتاب غني بالأمثلة التي تؤكد لنا قولنا، ولعل أبرز شيئ يلفت انتباهنا هو طريقة التبويب والتفصيل التي اعتمدها فهي بقدر ما تسهل عملية البحث، بقدر ما توحي ايحاء مباشرا بنظرية الحقول الدلالية ودراية الثعالبي للمعاني المشتركة التي تحملها مجموعة من الألفاظ، وهو إن غاب عنه المصطلح 'نظرية الحقول الدلالية' باعتباره مصطلحا حديثا فهو يحمل الكثير من أفكاره، إن لم نقل يحمل فكرة النظرية بعينها، وهذا ما تؤكده فصوله التي كل واحد منها يعبر عن سياق خاص، يجمع ألفاظه معنى واحد وحقل واحد، فأبواب الثعالبي هي في الحقيقة بمثابة حقل كبير وشامل، يضم مجموعة من الحقول الصغرى أو الفرعية وهي الفصول التي اعتمدها الثعالبي، هكذا أورد تشكيلا خاصا لطريقة تبويبه وفقا للمعاني، فمثلا نجده يعنون الباب الرابع ب 'في أوائل الأشياء وأواخرها، ويقسمه ثلاثة فصول يقول فيها: الفصل الأول 'في سياقة الأوائل' " الصبح أول النهار، الغسق أول الليل، الوسمي أول المطر، البارض أول النبت، اللعاع أول الزرع، وهذا عن الليث، اللبأ أول اللبن، السلاف أول العصير، الباكورة أول الفاكهة، البكر أول الولد، الطليعة أول الجيش، النهل أول الشرب، النشوة أول السكر، الوخط أول الشيب، النعاس أول النوم، الحافرة أول الأمر، وهي من قول الله عز وجل: ' أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ '[1]، أي في أول أمرنا، ويقال في المثل: النقد عند الحافرة، أي عند أول كلمة، الفرط أول الوراد وفي الحديث:'أنا فرطكم على الحوض'، أي أولكم، الزلف أول ساعات الليل، واحدتها زلفة، عن ثعلب عن أبي الأعرابي، الزفير أول صوت الحمار، والشهيق آخره، عن الفراء، النقبة أول ما يظهر من الجرب، عن الأصمعي، العلقة أول ثوب يتخذ للصبي، عن أبي عبيد بن العدبس، الاستهلال أول صياح المولود إذا ولد، العقي أول ما يخرج من بطنه، النبط أول ما يظهر من ماء البئر إذا حفرت، الرس والرسيس أول ما يأخذ من الحمى، الفرع أول ما تنتجه الناقة، وكانت العرب تذبحه لأصنامها تبركا بذلك'، أما الفصل الثاني فكان عنوانه: في مثلها وجاء فيه: صدر كل شيئ وغرته أوله، فاتحة الكتاب أوله، شرخ الشباب وريعانه وعنفوانه ومبعته وغلواؤه ريق الشباب وريقه أزله، ريق المطر أول شؤبوبه، حدثان الأمر أوله، قرن الشمس أولها، غزاله الريح أولها، عثنون الضحى أولها، عروك الجارية أول بلوغها مبلغ النساء، سرعان الخيل أوائلها، تباشير الصبح أوائله'، وجاء في الفصل الثالث: 'في الأواخر'، يقول فيه:

1: النازعات، الآية 10

الأهزع آخر السهام الذي يبقى في الكنانة، السكيت آخر الخيل التي تجيئ في أواخر الحلبة، الغلس والغبش آخر ظلمة الليل، الزكمة والعجزة آخر ولد الرجل، عن أبي عمرو، الكيول آخر الصف، عن أبي عبيد، الفلتة آخر ليلة من كل شهر، ويقال: بل هي آخر يوم من الشهر الذي بعده الشهر الحرام، البراء آخر ليلة من الشهر، عن الأصمعي وعن ابن الأعرابي أنه آخر يوم من الشهر وهو سعد عندهم قال الراجز:

إن عبيدا لا يكون غسا   كما البراء لا يكون نحسا

الغائرة آخر القائلة، الخاتمة آخر الأمر، ساقة العسكر آخره، عجمة الرمل آخره "[1] ، ويعنون بابه الخامس- الذي نعتبره حقلا دلاليا شاملا- بـ ' في صغار الأشياء'(وكبارها وعظامها وضخامها)، ويقسمه عشرة فصول، وتمثل حقولا دلالية صغرى أو فرعية، جاء في الفصل الأول في 'تفصيل الصغار'، قوله:" الحصى صغار الحجارة، الفسيل صغار الشجر، الأشاء صغار النخل، الفرش صغار الإبل، وقد نطق به القرآن، النقد صغار الغنم، الحفان صغار النعام، عن الأصمعي، الحبلق صغار المعز، عن الليث، البهم صغار أولاد الضأن والمعز، الدردق صغار الناس والإبل، عن الليث، عن الخليل، الحشرات صغار دواب الأرض، الدخل صغار الطير، الغوغاء صغار الجراد، الذر صغار النمل، الزغب صغار ريش الطير، القطقط صغار المطر، عن الأصمعي، الوقش والوقض صغار الحطب التي تشيع بها النار، عن أبي تراب، اللمم صغار الذنوب، وقد نطق به القرآن، الضغابيس صغار القثاء، وفي الحديث أنه أهدي إليه ضغابيس، فقبلها، وأكلها، بنات الأرض الأنهار الصغار، عن ثعلب، عن ابن الأعرابي.'، والفصل الثاني كان بعنوان 'في تفصيل الصغير من أشياء مختلفة'، القرن الجبل الصغير، عن ابن السكيت، العنز الأكمة الصغيرة السوداء، عن ابن الأعرابي، الحفش البيت الصغير، عن الليث، الجدول النهر الصغير، الغمر القدح الصغير، الناطل القدح الصغير الذي يري فيه الخمار النموذج، هذا عن ثعلب ابن الأعرابي، وعن أبي عمرو: أن الناطل مكيال الخمر، الكرز الجوالق الصغير، عن الأصمعي، الجرموز الحوض الصغير، عن أبي عمرو، القلهزم الفرس الصغير، عن أبي تراب، الهبيرة الضبع الصغيرة، عن ابن الأعرابي، الشصرة الظبية الصغيرة، عنه أيضا، الخشيش الغزال الصغير، عن الأزهري، الشرغ الضفدع الصغير، عن الليث، الحسبانة الوسادة الصغيرة، عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، البخنق البرقع الصغير، عن الأزهري.

---

[1]:الثعالبي، فقه اللغة، ص 41، 42

ويقال: بل المقنعة الصغيرة، الكنانة الجعبة الصغيرة، الشكوة القربة الصغيرة، الكفت القدر الصغيرة، عن الأصمعي، الخصاص الثقب الصغير، الحميت الزق الصغير، النبلة اللقمة الصغيرة، عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، الوصواص البرقع الصغير، القارب السفينة الصغيرة، قال الليث: هي سفينة صغيرة تكون مع أصحاب السفن البحرية تستخف لحوائجهم، السوملة الفنجانة الصغيرة، الشواية الشيئ الصغير من الكبير كالقطعة من الشاة، عن خلف الأحمر، النوط الجلة الصغيرة فيها تمر، عن أبي عبيد، عن أبي عمرو، الرسل الجارية الصغيرة، ومنه قول عدي بن زيد:

ولقد ألهو ببكر رسل مسها ألين من مس الردن

والفصل الثالث كان 'في حقل الكبير من عدة أشياء'، اليفن الشيخ الكبير، القلعم العجوز الكبيرة، عن الليث، القحر البعير الكبير، الطبع النهر الكبير، وهو في شعر لبيد، الرس البئر الكبيرة، القلة الجرة الكبيرة، الفرعة القملة الكبيرة، عن الأصمعي، التبن القدح الكبير، الشاهين الميزان الكبير، الخنجر السكين الكبير، عين حدرة أي كبيرة، وهي في شعر امرئ القيس'، والفصل الثالث من هذا الباب كان في حقل'فيما أطلق عليه الأئمة في تفسيره لفظة العظيم'، القهب الجبل العظيم، عن أبي عمرو، العاقر الرمل العظيم، عن أبي عبيدة، الشارع الطريق العظيم، عن الليث، السور الحائط العظيم، الرتاج الباب العظيم، الفيلم الرجل العظيم، وفي الحديث أنه- صلى الله عليه وسلم- ذكر الدجال، فقال: 'إنه أقمر فيلم'، الصخرة الحجر العظيم، المقرى الإناء العظيم، الفيلق الجيش العظيم، العبهرة المرأة العظيمة، عن أبي عبيدة، الدوحة الشجرة العظيمة، عن الليث، الخلية السفينة العظيمة، عن اللحياني، السجل القربة العظيمة، عن أبي زيد، الغرب الدلو العظيمة، عن الليث، الدجالة الرفقة العظيمة، عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، الثعبان الحية العظيمة، القرميد الآجرة العظيمة، الفطيس المطرقة العظيمة، المعول الفأس العظيمة، الطربال الصومعة العظيمة، عن أبي عبيدة، الملحمة الوقعة العظيمة، الدلدل القنفذ العظيم، القمع الذباب الأزرق العظيم، الحلمة القراد العظيم، الفادر الوعل العظيم، البقة البعوضة العظيمة، الوئية القدر العظيمة، وفي المثل: كفت إلى وئية'، والفصل الخامس 'فيما يقاربه'، الجرنفش العظيم الخلقة، الأرأس العظيم الرأس، العثجل العظيم البطن، امرأة ثدياء، عظيمة الثدي، الأركب العظيم الركبة، الأرجل العظيم الرجل' والفصل الخامس كان 'في معظم الشيئ'، المحجة والجادة معظم الطريق، حومة القتال معظمه، وكذلك من البحر والرمل وغيرهما، عن الأصمعي، كوكب كل شيئ معظمه، يقال: كوكب الحر

وكوكب الماء، جمة الماء معظمه، القيروان معظم العسكر ومعظم القافلة(وهو معرب عن كاروان)'، وكان الفصل السابع في حقل 'تفصيل الأشياء الضخمة'، الوهم الجمل الضخم، عن الليث، العلكوم الناقة الضخمة، عن الأصمعي، الجحنبارة الرجل الضخم، عن ابن السكيت، عن الفراء، الجأب الحمار الضخم، عن ابن الأعرابي، القلس الحبل الضخم، عن الليث، الخزرنق العنكبوت الضخم، عن أبي تراب، الهراوة العصا الضخمة، عن أبي عبيدة، الهيكل الضخم من كل حيوان، عن النضر بن شميل، السجيلة الدلو الضخمة، عن الكسائي، الرفد القدح الضخم، عن أبي عبيدة، الجخدب الجندب الضخم، عن الأزهري عن شمر، البالة الجراب الضخم، عن عمرو عن أبيه أبي عمرو الشيباني، الوليجة الجوالق الضخم، عن الليث، الجحل الضب الضخم، عن ابن السكيت، الكوشلة الفيشلة الضخمة، عن الليث، قال الأزهري: الذي عرفته بالسين إلا أن تكون الشين أيضا فيه لغة، الهلوف اللحية الضخمة، الهقب النعامة الضخمة' والفصل الثامن كان فيما 'يناسبه'، الجهضم الضخم الهامة، عن الفراء، البرطام الضخم الشفة، عن أبي محمد الأموي، الحوشب الضخم البطن، عن الأصمعي، القفندر الضخم الرجل، عن أبي عبيدة'، والفصل التاسع 'في ترتيب ضخم الرجل'، رجل بادن إذا كان ضخما محمود الضخم، ثم خدب إذا زادت ضخامته زيادة غير مذمومة، ثم خنبج إذا كان مفرط الضخامة، عن الليث، ثم جلندح إذا كان نهاية في الضخم، وهذا عن ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضل'، والفصل العاشر كان في حقل 'ترتيب ضخم المرأة'، إذا كانت ضخمة في نعمة وعلى اعتدال فهي ربحلة، فإذا زاد ضخمها ولم يقبح فهي سبحلة، فإذا دخلت في حد ما يكره فهي مفاضة وضناك، فإذا أفرط ضخمها مع استرخاء لحمها فهي عفضاج، عن الأصمعي وغيره"[1].

هكذا عقد الثعالبي بابه العاشر في أوائل الأشياء وأواخرها، وهو بهذا أخضعه لمعنى واحد وشامل، تنضوي تحته معان فرعية تختلف تسمياتها، لكنها تجتمع في معنى واحد يجمعها، وهو نظام الفصول الذي اعتمده، وذكرنا بأنها بمثابة حقول دلالية فرعية، وبهذا الشكل والطريقة، يواصل الثعالبي في عرض أبوابه، فنجد الباب السادس كذلك يمثل حقلا دلاليا شاملا عنونه بـ: 'الطول والقصر'، وتندرج تحته حقول دلالية فرعية تمثلها الفصول التي اعتمدها الثعالبي في هذا الباب، وهي: الفصل الأول 'في ترتيب الطول والقصر على القياس والتقريب'، رجل طويل ثم طوال، فإذا

[1]:الثعالبي، فقه اللغة، ص 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47

زاد فهو شوذب وشوقب، فإذا دخل في حد ما يذم من الطول فهو عشنط وعشنق، فإذا أفرط طوله وبلغ النهاية فهو شعلع، وعنطنط وسقعطرى، عن أبي عمرو الشيباني'، والفصل الثاني'في تقسيم الطول على ما يوصف به، عن الأئمة': رجل طويل وشغموم، جارية شطبة وعطبول، فرس أشق وأمق وسرحوب، بعير شيظم وشعشعان، ناقة جسرة وقيدود، نخلة باسقة وسحوق، شجرة عيدانة وعميمة، جبل شاهق وشامخ وباذخ، نبت سامق، ثدي طرطب، عن ابن الأعرابي، وجه مخروط ولحية مخروطة إذا كان فيهما من غير عرض، شعر فينان ووارد كأنه يرد الكفل وما تحته، وقد أحسن ابن الرومي في قوله:

وفاحم وارد يقبل ممـــــــــــــ شاه إذا اختال مسبلا غدره

وأحسن في السرقة منه وزاد عليه ابن مطران حيث قال والحديث شجونك

ظباء أعارتها المها حسن مشيـــــها كما قد أعارتها العيون الجآذر

فمن حسن ذاك المشي جاءت فقبلت مواطئ من أقدامهن الضفائر'

والفصل الثالث كان في 'حقل ترتيب القصر': رجل قصير ودحداح، ثم حنبل وخزنبل، عن أبي عمرو بن العلاء والأصمعي، ثم حنزاب وكهمس، عن ابن الأعرابي، ثم بحتر وحبتر، عن الكسائي والفراء، فإذا كان مفرط يكاد الجلوس يوازيه فهو حنتار وحندل، عن الليث وابن دريد، فإذا كان كأن القيام لا يزيد قده حنزقرة، عن الأصمعي وابن الأعرابي'، والفصل الرابع كان في 'حقل تقسيم العرض': دعاء عريض، رأس فلطاح، عن ابن دريد، حجر صلدح، عن الليث، سيف مصفح، عن أبي عبيد"[1]، وخصص الثعالبي بابه الرابع عشر لحقل شامل يتعلق 'بأسنان الناس والدواب وتنقل الأحوال بهما وذكر ما يتصل بهما وينضاف إليهما'، وأورد تحت هذا الحقل الشامل حقولا فرعية وهي سبعة عشر فصلا، فالفصل الأول كان 'في ترتيب سن الغلام': 'يقال للصبي إذا ولد رضيع وطفل، ثم فطيم، ثم دارج، ثم حفر، ثم يافع، ثم شدخ، ثم مطبخ، ثم كوكب'،

والفصل الثاني'أشفى فنه في ترتيب أحواله وتنقل السن به إلى أن يتناهى شبابه': 'مادام في الرحم فهو جنين، فإذا ولد فهو وليد، ومادام لم يستتم سبعة أيام فهو صديغ، لأنه لا يشتد صدغه إلى تمام السبعة، ثم مادام يرضع فهو رضيع، ثم إذا قطع عنه اللبن فهو فطيم، ثم إذا غلظ وذهبت عنه ترارة الرضاع فهو جحوش، عن الأصمعي، وأنشد للهذلي:

1: الثعالبي،فقه اللغة، ص48، 49

قتلنا مخلدا وابني حراق   وآخر جحوشا فوق الفطيم

قال الأزهري: كأنه مأخوذ من الجحش الذي هو ولد الحمار، ثم هو إذا دب ونما فهو دارج، فإذا بلغ طوله خمسة أشبارن فهو خماسي، فإذا سقطت رواضعه فهو مثغور، عن أبي زيد، فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو متغر بالثاء والتاء، عن أبي عمرو، فإذا كاد يجاوز العشر السنين أو جاوزها، فهو مترعرع وناشئ، فإذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه، فهو يافع، ومراهق، فإذا احتلم واجتمعت قوته، فهو حزور وحزور، واسمه في جميع هذه الأحوال التي ذكرنا غلام، فإذا اخضر شاربه وأخذ عذاره يسيل قيل: بقل وجهه، فإذا صار ذا فتاء، فهو فتى وشارخ، فإذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه، فهو مجتمع، ثم مادام بين الثلاثين والأربعين، فهو شاب، ثم هو كهل إلى أن يسوفي الستين'، والفصل الثالث كان 'في ظهور الشيب وعمومه':'يقال للرجل أول ما يظهر الشيب به: قد وخطه الشيب، فإذا زاد قيل: قد خصفه وخوصه، فإذا ابيض بعض رأسه قيل: أخلس رأسه، فهو مخلس، فإذا غلب بياضه سواده، فهو أغثم، عن أبي زيد، فإذا شمطت مواضع من لحيته قيل: قد وخزه القتير ولهزه، فإذا كثر فيه الشيب وانتشر قيل: قد تفشغ فيه الشيب، عن أبي عبيد عن أبي عمرو'، والفصل الرابع دار حول 'حقل الشيخوخة والكبر': يقال شاب الرجل، ثم شمط، ثم شاخ، ثم كبر، ثم توجه، ثم دلف، ثم دب، ثم مج، ثم هدج، ثم ثلب، ثم الموت'، والفصل الخامس' في مثل ذلك جمع فيه بين أقاويل الأئمة': 'يقال عتا الشيخ وعسا، ثم تسعسع وتقعوس، ثم هرم وخرف، ثم أفند وأهتر، ثم لعق إصبعه وضحا ظله إذا مات'، والفصل السادس 'يقاربه، ' إذا شاخ الرجل وعلت سنه، فهو قحو وقحب، فإذا ولى وساء عليه أثر الكبر، فهو يفن ودردح، فإذا زاد ضعفه ونقص عقله، فهو جلحاب ومهتر'، والفصل السابع في 'حقل ترتيب سن المرأة': 'هي طفلةمادامت صغيرة، ثم وليدة إذا تحركت، ثم كاعب إذا كعب ثديها، ثم ناهد إذا زاد، ثم معصر إذا أدركت، ثم عانس إذا ارتفعت عن حد الإعصار، ثم خود إذا توسطت الشباب، ثم مسلف إذا جاوزت الأربعين، ثم نصف إذا كانت بين الشباب والتعجيز، ثم شهلة كهلة إذا وجدت مس الكبر وفيها بقية وجلد، ثم شهبرة إذا عجزت وفيها تماسك، ثم حيزبون إذا صارت عالية السن ناقصة القوة، ثم قلعم ولطلط إذا انحنى قدها وسقطت أسنانها'، والفصل الثامن 'كلي في الأولاد'، 'ولد كل بشر ابن وابنة، ولد كل سبع جرو، ولد كل وحشية طلا، ولد كل طائر فرخ'، والفصل التاسع جزئي في الأولاد':'ولد الفيل دغفل، ولد الناقة حوار، ولد الفرس مهر، ولد

الحمار جحش، ولد البقرة عجل، ولد البقرة الوحشية بحزج وبرغز، ولد الشاة حمل، ولد العنز جدي، ولد الأسد شبل، ولد الظبي خشف، ولد الأروية وعل وغفر، ولد الضبع فرعل، ولد الدب ديسم، ولد الخنزير خنوص، ولد الثعلب هجرس، ولد الكلب جرو، ولد الفأرة درص، ولد الضب حسل، ولد القرد قشة، ولد الأرنب خرنق، ولد الببر خنصيص، عن الخارزنجي عن أبي الزحف التميمي، ولد الحية حربش، ولد الدجاج فروج، ولد النعام رأل'، وأورد الفصل العاشر من هذا الباب 'في المسان': البجال الشيخ المسن، القلعم العجوز المسنة، العود الجمل المسن، الناب الناقة المسنة، العلج الحمار المسن، الشبب الثور المسن، الفارض البقرة المسنة، الهجف الظليم المسن، العشمة الشاة المسنة'، وكان الفصل الحادي عشر 'في ترتيب سن البعير': ولد الناقة ساعة تضعه أمه سليل، ثم سقب وحوار، فإذا استكمل سنة وفصل عن أمه، فهو فصيل، فإذا كان في السنة الثانية فهو ابن مخاض، فإذا كان في الثالثة، فهو فهو ابن لبون، فإذا كان في الرابعة واستحق أن يحمل عليه، فهو حق، فإذا كان في الخامسة فهو جذع، فإذا كان في السادسة وألقى ثنيته فهو ثني، فإذا كان في السابعة وألقى رباعيته فهو رباع، فإذا كان في العاشرة فهو مخلف، ثم مخلف عام، ثم مخلف عامين فصاعدا، فإذا كاد يهرم وفيه بقية فهو عود، فإذا ارتفع عن ذلك فهو قحر، فإذا انكسرت أنيابه فهو ثلب، فإذا ارتفع عن ذلك، فهو ماج لأنه يمج ريقه ولا يستطيع أن يحبسه من الكبر، فإذا استحكم هرمه، فهو كحكح، عن أبي عمرو والأصمعي'، والفصل الثاني عشر كان حول' سن الفرس': إذا وضعته أمه فهو مهر، ثم فلو، فإذا استكمل سنة فهو حولي، ثم في الثانية جذع، ثم في الثالثة ثني، ثم في الرابعة، رباع بكسر العين، ثم في الخامسة قارح، ثم هو إلى أن يتناهى عمره مذك'، والفصل الذي يليه كان 'في سن البقرة الوحشية': ولد البقرة الوحشية مادام يرضع فز وفرقد وفرير، فإذا ارتفع عن ذلك فهو يعفور وجؤذروبحزج، فإذا شب فهو مهاة، فإذا أسن فهو قرهب'، وفي سن ولد البقرة الأهلية، جاء في الفصل الرابع عشر: 'ولد البقرة الأهلية أول سنة تبيع، ثم جذع، ثم ثني، ثم رباع، ثم سديس، ثم صالغ'، وفي مثله عن غيره، جاء في الفصل الخامس عشر: 'ولد البقرة عجل، فإذا شب فهو شبوب، فإذا أسن فهو فارض' والفصل السادس عشر كان في حقل سن الشاة والعنز:'ولد الشاة حين تضعه أمه ذكرا كان أو أنثى، سخلة وبهمة، فإذا فصل عن أمه فهو حمل، وخروف، فإذا أكل واجتر فهو بدج(والجمع بذجان)، وفرفور، فإذا بلغ النزو فهو عمروس، وولد المعز جفر، ثم عريض وعتود، ثم عناق، وكل من أولاد الضأن والمعز في

السنة الثانية جذع، وفي الثالثة ثني، وفي الرابعة رباع، وفي الخامسة سديس، وفي السادسة صالغ وليس له بعدها اسم'، والفصل الأخير كان يشتمل على حقل دلالي يدور حول سن الظبي: 'أول ما يولد الظبي فهو طلا، ثم خشف ورشا، ثم غزال وشادن ثم شصر، ثم جذع ثم ثني إلى أن يموت"[1]، هكذا كان هذا الباب حقلا دلاليا شاملا تضمن حقولا دلالية فرعية، مهما اختلفت في تسمياتها واهتماماتها، إلا أنها دارت في فلك واحد ومعنى واحد، وهكذا يواصل الثعالبي في عرض أبوابه وفصوله، ويخضعها لنظام واحد وهو المعنى، ينطلق من العام إلى الخاص في معظم الأبواب، والكتاب غني بالأمثلة التي توضح وتثبت ما قمنا بطرحه من ملاحظات حول طريقة التبويب والتفصيل التي اعتمدها الثعالبي، والتي تبين عمق جذور نظرية الحقول الدلالية في تراثنا العربي.

ففي الباب الثالث والثلاثين، يجمع الثعالبي حقولا صغيرة، في فصول محددة تحت حقل واحد يرتبط بأسماء اللباس وما يتصل به، فيقول في الفصل الأول:" نسج الثوب، رمل الحصير، سف الخوص، ضفر الشعر، فتل الحبل، جدل السير، مسد الجلد، حاك الكلام"[2]، وفي الفصل الثاني" خاط الثوب، خرز الخف، خصف النعل، كتب القربة، سرد الدرع، حاص عين البازي"[3]، وفي تقسيم الخيوط وتفصيلها قال الثعالبي في الفصل الثالث:"النصاح للإبرة، السلك للخرز، السمط للجواهر، الرتيمة للاستذكار، المطمر لتقدير البناء، السياق لرجل الطائر الجارح، الصرار لضرع الشاة والناقة"[4]، وفي الفصل الخامس:"العصابة للرأس، الوشاح للصدر، النطاق للخصر، الإزار لما تحت السرة، الزنار لوسط الذمي"[5]، أما الفصل السابع فجاء في حقل الثياب الرقيقة وتفصيلها:"ثوب شف(إذا كان رقيقا يستشف منه ما وراءه)، ثم سب(إذا كان أرق منه)، عن أبي عمرو، ثم سابري إذا كان لابسه بين المكتسي والعريان(ومنه قيل عرض سابري)، ثم لهله ونهنه، إذا كان نهاية في رقة النسج، عن أبي عبيد عن الأحمر"[6]، والفصل الثامن تضمن حقلا لتفصيل الثياب المصنوعة:" إذا كان الثوب منسوجا على نيرين اثنين، فهو منير، فإذا كان يرى في وشيه ترابيع صغار تشبه عيون الوحش، فهو معين، فإذا كان مخططا، فهو معضد ومشطب، فإذا كانت فيه

---

[1]:الثعالبي، فقه اللغة، ص 87، 88، 89، 90، 91
[2]: الثعالبي، فقه اللغة، ص 186
[3]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها
[4]: المصدر نفسه الصفحة نفسها
[5]: المصدر نفسه، ص 187
[6]: المصدر نفسه، ص نفسها

طرائق، فهو مسير، فإذا كانت فيه نقوش وخطوط بيض، فهو مفوف، فإذا كانت خطوطه كالسهام، فهو مسهم، فإذا كانت تشبه العمد، فهو معمد، فإذا كانت تشبه المعارج، فهو معرج، فإذا كانت فيه نقوش وصور كالأهلة، فهو مهلل، فإذا كان موشى بأشكال الكعاب، فهو مكعب، عن أبي عمرو، فإذا كانت فيه لمع كالفلوس، فهو مفلس، فإذا كانت فيه صور الطير، فهو مطير، فإذا كانت فيه صور الخيل فهو مخيل"[1]، وجاء الحقل العاشر يتحدث عن تفصيل ضروب من الثياب:"السحل من القطن، الحرير من الإبريسم، الخنيف ما غلظ من الكتان، والشرب ما رق منه، الردن ما غلظ من الخز، والسكب ما رق منه، اللبادة من اللبود، الزرمانقة من الصوف"[2]، ففصول الثعالبي انضوت معظمها تحت باب واحد، وهذا إن دل على شيئ فهو يوحي بالحرص الشديد الذي أولاه الثعالبي برصد مجموعة من الألفاظ في سياق واحد، وفي معنى عام يجمعها، وطريقة التبويب وفق موضوعات عامة لتليها فصول تابعة للباب الواحد، واشتمال الفصول على معان واحدة تشترك جميعها لتشكل مفهوما واحدا وهو نظام الأبواب الذي اعتمده الثعالبي.

وفي الباب الحادي والعشرين يعقد الثعالبي بابا في 'الجماعات' يذكر في الفصل الأول:"نفر ورهط، ولمة، وشرذمة، ثم قبيل، وعصبة، وطائفة، ثم ثبة، وثلة، ثم فوج، وفرقة، ثم حزب، وزمرة، وزجلة، ثم فئام، وجزلة، وحزيق، وقبص، وجبلة، وجبل"[3]، وفي الفصل الذي يليه من الباب نفسه ' في تفصيل ضروب من الحيوانات'، يقول:" إذا كانوا أخلاطا وضروبا متفرقين فهم أفناء، وأوزاع، وأوباش، وأعناق، وأشائب، فإذا احتشدوا في اجتماعهم، فهم حشد، فإذا حشروا لأمرما، فهم حشر، فإذا ازدحموا يركب بعضهم بعضا، فهم دفاع، فإذا كانوا عددا كثيرا من الرجالة، فهم حاصب، فإذا كانوا فرسانا، فهم موكب، فإذا كانوا بني أب واحد، فهم قبيلة، فإذا كانوا بني أب واحد وأم واحدة، فهم بنو الأعيان، فإذا كان أبوهم واحدا وأمهاتهم شتى، فهم بنو العلات، فإذا كانت أمهم واحدة وآباؤهم شتى، فهم بنو الأخياف"[4]، ثم تلا هذا الفصل فصول أخرى متعلقة بأسماء الجماعات تشكل باجتماعها معنى واحدا وحقلا واحدا، ووضع عنوانا جامعا للباب

[1]: الثعالبي،فقه اللغة، ص 188
[2]: المصدر نفسه، ص189
[3]: المصدر نفسه، ص 173
[4]: المصدر نفسه، ص نفسها.

العشرين تحت اسم 'في الأصوات وحكاياتها'، ذكر في الفصل الأول الذي عنونه بـ'في ترتيب الأصوات الخفية وتفصيلها': " من الأصوات الخفية الرز، ثم الركز(وقد نطق به القرآن)، ثم الهتملة فوقهما(وهي صوت السرار)، ثم الهيمنة وهي شبه قراءة غير بينة، وينشد للكميت:

ولا أشهد الهجر والقائليه * إذا هم بهينمة هتملوا**

ثم الدندنة وهي أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا تفهمه لأنه يخفيه، وفي الحديث: 'فأما دندنتك ودندنة معاذ فلا أحسنها'، ثم النغم وهو جرس الكلام وحسن الصوت، ثم النبأة وهي الصوت ليس بالشديد، ثم النأمة(من النئيم، وهو الصوت الضعيف)"[1] وجاء في أصوات الحركات قوله: "الهمس صوت حركة الإنسان (وقد نطق به القرآن)، ومثله الجرس والخشفة، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لبلال: 'إني لا أراني أدخل الجنة فأسمع الخشفة إلا رأيتك' وقريب منها الهمشة والوقشة، فأما النامة فهي ما ينم على الإنسان من حركته أو وطء قدميه، الهسهسة عام في كل شيئ له صوت خفي كهساهس الإبل في سيرها، الهميس صوت نقل أخفاف الإبل في سيرها، وينشد:

'وهن يمشين بنا هميسا'[2]

أما الفصل الرابع من الباب نفسه، فخصه الثعالبي للحديث عن الأصوات التي لا تفهم، فقال: "اللغط أصوات مبهمة لا تفهم، التغمغم الصوت بالكلام الذي لا يبين، وكذلك التجمجم، اللجب صوت العسكر، الوغى صوت الجيش في الحرب

الضوضاء اجتماع أصوات الناس والدواب، وكذلك الجلبة"[3]، والفصل السادس أفرده للحديث عن حكايات أصوات الناس في أقوالهم وأحوالهم: " القهقهة حكاية قول الضاحك: قه قه، الصهصهة حكاية قول الرجل للقوم: صه صه (وهي كلمة زجر للسكوت)، الدعدعة حكاية قول الرجل للعاثر:دع دع، أي انتعش، البخبخة حكاية قول المستجيد: بخ بخ، التأخيخ حكاية قول المستطيب: أخ أخ، الزهزهة حكاية قول المرتضي: زه زه، النحنحة والتنحنح حكاية قول المستأذن: نح نح، عند الاستئذان وغيره، العطعطة حكاية صوت المجان إذا قالوا عند الغلبة: عيط عيط، التمطق حكاية صوت المتذوق إذا صوت باللسان والغار الأعلى، الطعطعة حكاية صوت اللاطع

[1]: الثعالبي،فقه اللغة، ص 164
[2]: المصدر نفسه، ص 165
[3]: المصدر نفسه، ص نفسها

إذا ألصق لسانه بالحنك ثم لطع من شيئ طيب أكله، الوحوحة حكاية صوت به بحح، البربرة حكاية أصوات الهند عند الحرب، الكهكهة حكاية تنفس المقرور في يده، الهجهجة حكاية زجر السبع والإبل، الهرهرة حكاية زجر الغنم، البسبسة حكاية زجر الهرة، الولولة حكاية قول المرأة، واويلاه، النبنبة حكاية صوت الهاذي عند البضاع"[1]، و الفصل السابع بين فيه أصوات المكروبين والمكدودين والمرضى :" الأحيح والأحاح صوت يخرجه توجع أو غم، النحيط صوت القصار إذا ضرب الثوب بالحجر ليكون أروح له، الهمهمة صوت يخرجه تردد الزفير في الصدر من الهم والحزن، الزحير إخراج النفس بأنين عند عمل أو شدة، وكذلك التزحر والطحير، والنهيم كمثل النحيم شبه أنين يخرجه العامل المكدود فيستريح إليه، قال الراجز:

"ما لك لا تنحم يا رواحه * إن النحيم للسقاة راحه"**[2]

ثم يتابع الثعالبي حديثه عن أصوات المكروبين في فصل عنونه بـ 'في ترتيب هذه الأصوات' ، يقول: "إذا أخرج المكروب أو المريض صوتا رقيقا فهو الرنين، فإذا أخفاه فهو الهنين، فإذا أظهره فخرج خافيا فهو الحنين، فإن زاد فيه فهو الأنين، فإن زاد في رفعه فهو الخنين، فإذا أزفر به وقبح الأنين فهو الزفير، فإذا مد النفس ثم رمى به فهو الشهيق، فإذا تردد نفسه في الصدر عند خروج الروح فهو الحشرجة."[3]، ويمكن توضيح واختزال هذه الموضوعات في المخططات الآتية:

الباب الخامس[3]

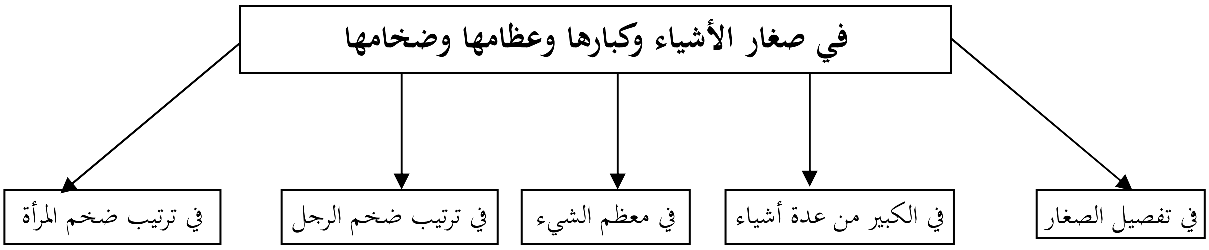

---

[1]: الثعالبي، فقه اللغة، ص 166

[2]: المصدر نفسه، ص 167

[3]: المصدر نفسه، ص 167

[3]: ينظر المصدر نفسه، ص،43، 44، 47

وقد قسم الثعالبي كل حقل فرعي إلى حقول ثانوية، وفصل في معناها وعلاقة بعضها ببعض، وهذا يوضحه الشكل الآتي:

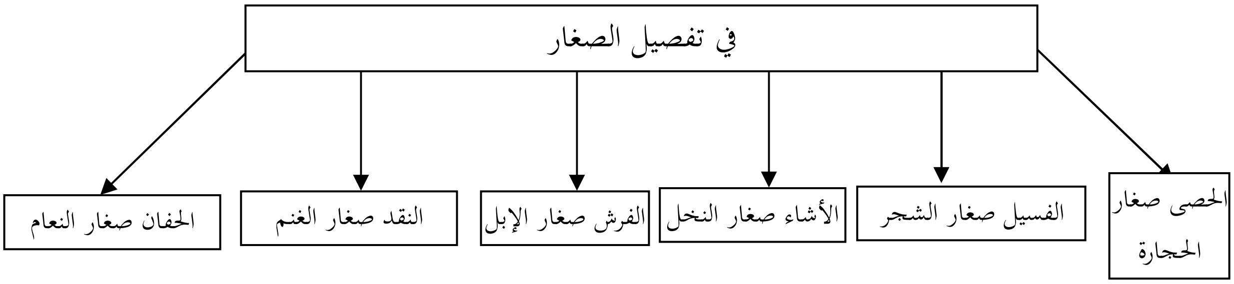

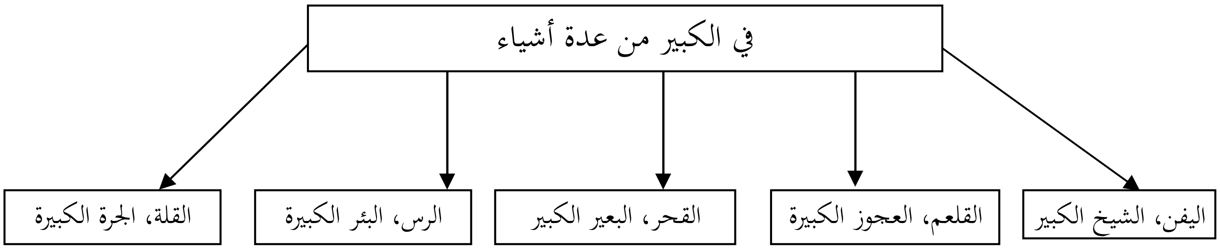

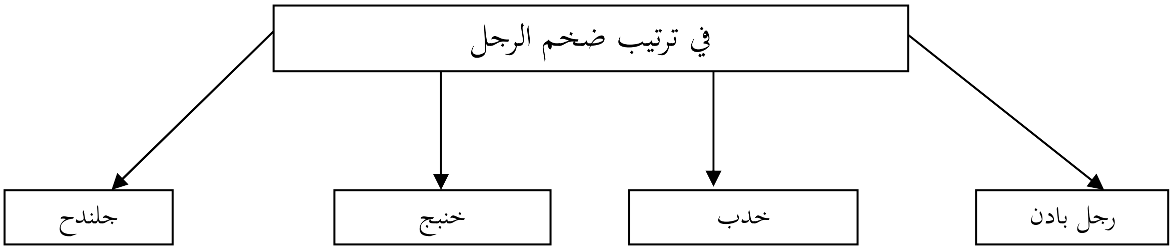

الباب الثامن عشر [1]

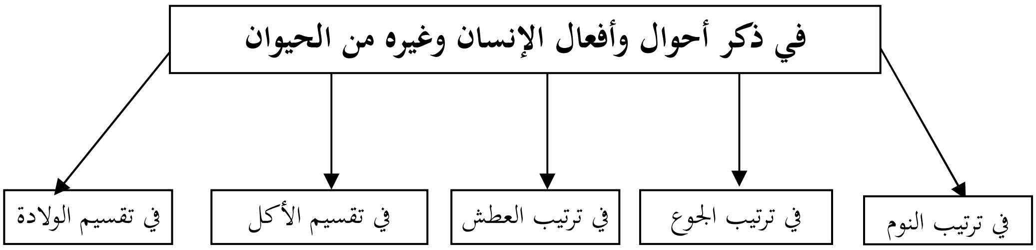

[1]: ينظر الثعالبي، فقه اللغة ص141، 142.

ويمكن تفريع كل حقل من هذه الحقول إلى حقول ثانوية، يوضحها الشكل الآتي:

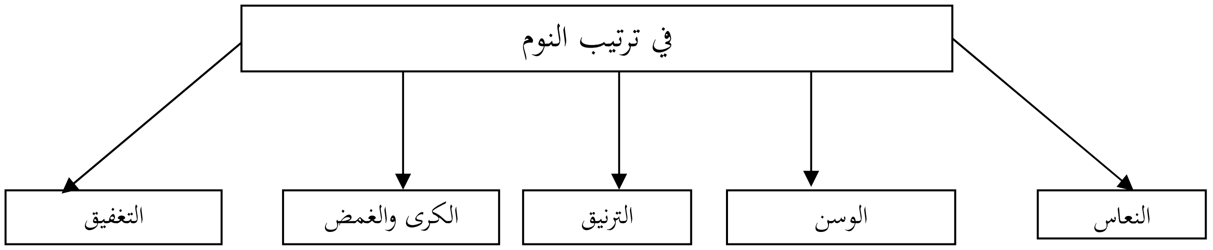

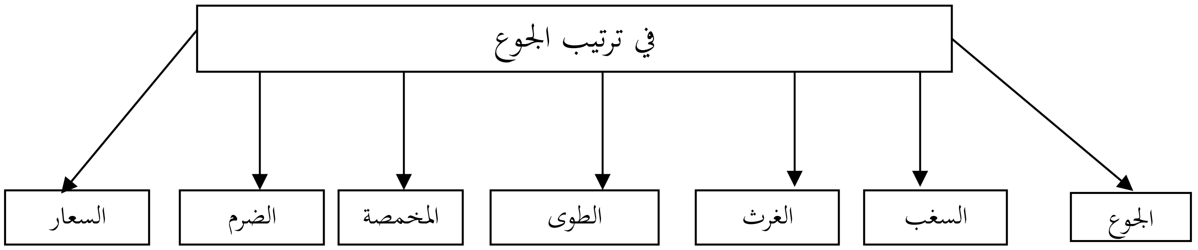

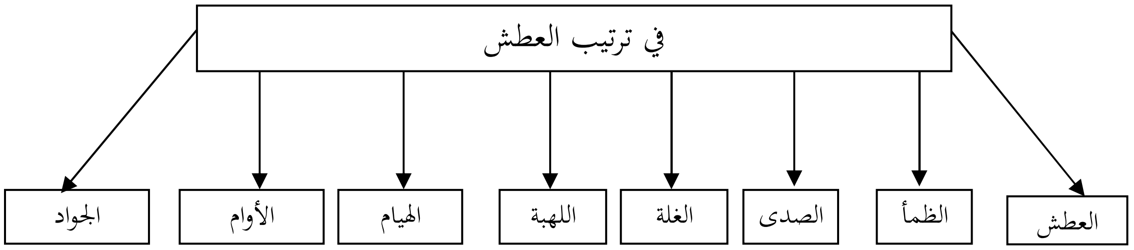

الباب التاسع عشر[1]

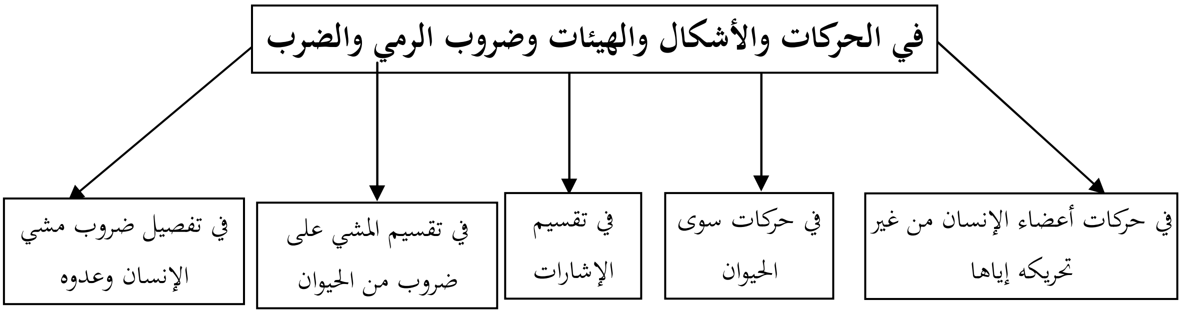

[1]: ينظر الثعالبي،فقه اللغة ص149، 150، 153

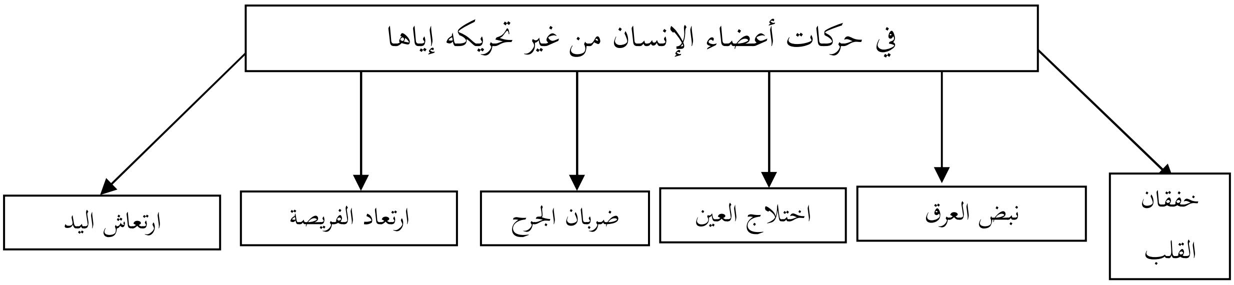

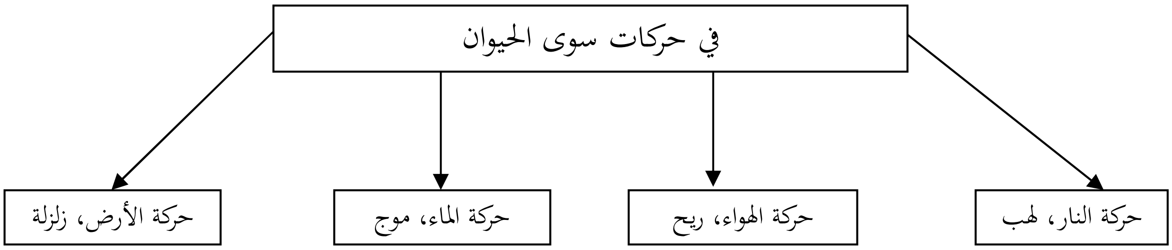

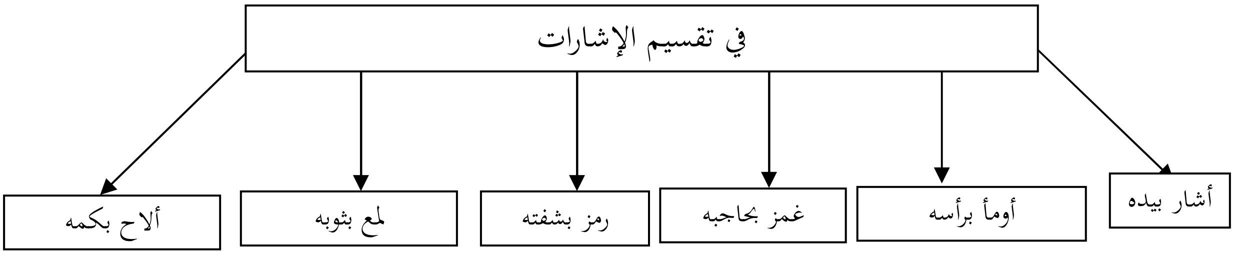

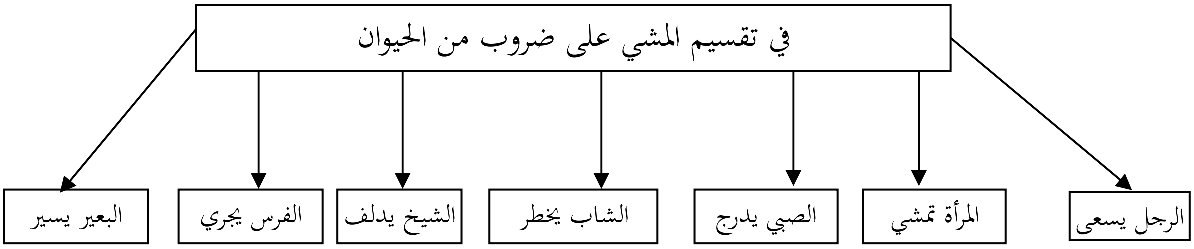

الثعالبي في الحقيقة قام بتصميم الموضوع، وتركنا نحكم حكما شاملا وواضحا، على أنه كان على دراية تامة بنظام الحقل الدلالي الواحد، والشيء الذي لم نجده هو العنوان في حد ذاته لأن الموضوع يثبته البحث، والمصطلح تأخر ميلاده عن حقبة الكاتب. زد على ذلك اهتمام الثعالبي البالغ بالألفاظ، فقد حرص على التدقيق فيها، فتغير اللفظة كان يصاحبه تغير السياق، رغم انتماء فصوله إلى حقل دلالي واحد.

يقول الثعالبي في الباب الرابع والعشرين 'في الأطعمة والأشربة وما يناسبها': طعام الضيف القرى، طعام الدعوة المأدبة، طعام الزائر التحفة، طعام الإملاك الشندخية، عن ابن دريد، طعام العرس

الوليمة، طعام الولادة الخرس، وعند حلق شعر المولود العقيقة، طعام الختان العذيرة، عن الفراء، طعام المأتم الوضيمة، عن ابن الأعرابي، طعام القادم من سفر النقيعة، طعام البناء الوكيرة، طعام المتعلل قبل الغذاء السلفة واللهنة، طعام المستعجل قبل إدراك الغذاء العجالة، طعام الكرامة القفي والزلة"[1]، هذه سياقات تدور حول مصطلح الطعام، تتشابه بانتمائها لمعنى واحد وتختلف كلما اختلف مناسبتها وسياقها الذي حضرت فيه، وعملية التبويب والتفصيل التي اعتمدها الثعالبي تجعلنا نحكم على أن الكاتب عمد على إدراج الألفاظ التي تحمل معنى واحد مشتركا في باب واحد، فتقسيم الأبواب في حد ذاتها يعبر عن مجموعة من الحقول، فكل باب يختلف عن الآخر من حيث الموضوع، ويضم مجموعة من الألفاظ التي تشترك في معنى عام واحد يجمعها، وهذا يحيلنا إلى القول أن الثعالبي كان على دراية بفحوى ومضمون نظرية الحقل الدلالي وربما الذي كان ينقصه في تلك الحقبة معرفة المصطلح الذي لم يتبلور في تلك الفترة من الزمن، فحين نؤرخ لنظرية الحقول الدلالية عند العرب فإننا لا نجد في تراثنا اللغوي العربي ما يشير من قريب أو بعيد إلى المصطلح، والذي نستطيع قوله، أن اللغويين العرب تفطنوا في وقت مبكر لذلك تطبيقا وممارسة، وهو أمر لا يمكن إغفاله، على الرغم من أنهم لم يعرفوا هذه النظرية بالمفهوم المتداول عند الدارسين العرب أو الغربيين في العصر الحديث،[2] ويوحي التصنيف الذي اعتمده الثعالبي في كتابه، بكثير من الدهشة والإعجاب من المستوى الفكري الذي بلغته العقلية العربية، في مثل هذا الوقت المبكر من تاريخ حياتها، وعلى الفهم لمفردات لغتها التي توحي للباحث بمعرفة الثعالبي وغيره الذين كتبوا في هذا الشأن، للحقول الدلالية والعلاقة الموجودة بينها، ومن أمثلة ذلك قول الثعالبي في الباب السابع عشر' في ذكر ضروب الحيوان، الفصل الثامن والثلاثون' في سائر أوصافها':" إذا لم يخالط حمرة البعير شيئ فهو أحمر، فإن خالطها السواد فهو أرمك، فإن كان أسود يخالط سواده بياض كدخان الرمث فهو أورق، فإن اشتد سواده فهو جون، فإن كان أبيض فهو آدم، فإن خالطت بياضه حمرة فهو أصهب، فإن خالطت بياضه شقرة فهو أعيس، فإن خالطت حمرته صفرة وسواد فهو أحوى، فإن كان أحمر يخالط حمرته سواد فهو أكلف"[3] ، ويلاحظ من خلال هذا المثال وجود حقلين هما:

- حقل رئيس: وهو حقل خاص بالألوان المطلقة كالسواد والبياض .

---

[1]: الثعالبي، فقه اللغة ص 203

[2]: ينظر، أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية،ص 22،23

[3]: الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص80

– حقل فرعي: يخص ألوان الإبل دون سواها، وفي الفصل الرابع عشر من الباب السابع عشر جاء في ترتيب أوصاف البخيل:' رجل بخيل، ثم مسك إذا شديد الإمساك لماله، عن أبي زيد، ثم لحز إذا كان ضيق النفس شديد البخل، عن أبي عمرو، ثم شحيح إذا كان مع شدة بخله حريصا، عن الأصمعي، ثم فاحش إذا كان متشددا في بخله، عن أبي عبيدة، ثم حلز إذا كان في نهاية البخل، عن ابن الأعرابي"[1]، هذا إذن حقل البخل، وفي الفصل السادس عشر من الباب نفسه، في تفصيل أحوال السارق وأوصافه:"إذا كان يسرق المتاع من الأحراز، فهو سارق، فإذا كان يقطع على القوافل فهو لص وقرضوب، فإذا كان يسرق الغنم، فهو أحمص، والحميصة الشاة المسروقة، عن عمرو عن أبيه أبي عمرو الشيباني، فإذا كان يسرق الدراهم بين أصابعه، فهو قفاف، فإذا كان يشق الجيوب وغيرها عن الدراهم والدنانير، فهو طرار، فإذا كان داهية في اللصوصية، فهو سبد أسباد، كما يقال: هتر أهتار، عن الفراء، فإذا كان له تخصص بالتلصص والخبث والفسق فهو طمل، عن ابن الأعرابي، فإذا كان يسرق ويزني ويؤذي الناس، فهو داعر، عن النضر بن شميل، فإذا كان خبيثا منكرا، فهو عفر وعفرية ونفرية، عن الليث عن الخليل، فإذا كان من أخبث اللصوص، فهو عمروط، عن الأصمعي، فإذا كان يدل اللصوص ويندس لهم، فهو شص، فإذا كان يأكل ويشرب معهم ويحفظ متاعهم ولا يسرق معهم فهو لغيف، عن ثعلب عن عمرو عن أبيه"[2]، وهذا يمثل حقل السرقة، وجاء في حقل معايب خلق الإنسان، قول الثعالبي في الفصل السادس من الباب السابع عشر:"إذا كان صغير الرأس، فهو أصعل وسمعمع، فإذا كان فيه حوج، فهو أشدف، عن ابن الأعرابي، فإذا كان عريضه، فهو أفطح، فإذا كانت به شجة، فهو أشج، فإذا أدبرت جبهته وأقبلت هامته، فهو أكبس، فإذا كان ناقص الخلق، فهو أكشم، فإذا كان معوج القد فهو أخفج، فإذا كان مائل الشق، فهو أحدل، فإذا كان طويلا منحنيا فهو أسقف، فإذا كام منحني الظهر فهو أدن، فإذا خرج ظهره ودخل صدره فهو أحدب، فإذا خرج صدره ودخل ظهره، فهو أقعس، فإذا كان مجتمع المنكبين يكادان يمسان أذنيه، فهو ألص، فإذا كان في رقبته ومنكبيه انكباب إلى صدره، فهو أجنا وأدنا، فإذا كان يتكلم من قبل خيشومه فهو أغن، فإذا كانت في صوته بحة، فهو أصحل، فإذا كان في وسط شفته العليا طول فهو أبظر، فإذا كان معوج الرسغ من اليد والرجل، فهو أفدع، فإذا كان يعمل بشماله فهو أعسر، فإذا كان يعمل بكلتا يديه، فهو

[1]:الثعالبي، فقه اللغة، ص126

[2]: المصدر نفسه، ص نفسها

أضبط، وهو غير معيب، فإذا كان غير منضبط اليدين فهو أطبق، فإذا كان معوج الكف من قبل الكوع فهو أكوع، فإذا كان متباعد ما بين الفخذين والقدمين، فهو أفحج، والأفج أقبح منه، فإذا اصطكت ركبتاه فهو أصك، فإذا اصطكت فخذاه، فهو أمذح، فإذا يباعدت صدور قدميه فهو أحنف، فإذا مشى على صدرها فهو أقفد، فإذا كان قبيح العرج فهو أقزل، فإذا كان في خصيتيه نفخة فهو أنفخ، فإذا كان عظيم الخصيتين، فهو آدر، فإذا كان متلاصق الأليتين جدا حتى تتحسجا فهو أمشق، فإذا كان لا تلتقي أليتاه فهو أفرج، فإذا كانت إحدى خصيتيه أعظم من الأخرى فهو أشرج، فإذا كان لا يزال ينكشف فرجه فهو أعفث، فإذا كانت قدمه لا تثبت عند الصراع فهو قلع"[1]، هكذا جمع هذا الحقل ألفاظا عديدة شكلت في مجملها معنى واحدا متعلقا بمعايب خلق الإنسان.

وفي حقل الأصوات الشديدة ورد في الفصل الثالث من الباب العشرين:"الصياح صوت كل شيئ إذا اشتد، الصراخ والصرخة الصيحة الشديدة عند الفزعة أو المصيبة، وقريب منهما الزعقة والصلقة، الصخب الصوت الشديد عند الخصومة والمناظرة، العج رفع الصوت بالتلبية، وكذلك الإهلال، التهليل رفع الصوت بلا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الاستهلال صياح المولود عند الولادة، الزجل رفع الصوت عند الطرب، النقع الصراخ المرتفع، الهيعة الصوت عند الفزع، وفي الحديث:'خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها'، الواعية الصراخ على الميت، النعير صياح الغالب بالمغلوب، النعيق صوت الراعي بالغنم، الهديد والهدة صوت شديد تسمعه من سقوط ركن أو حائط أو ناحية جبل، الفديد صوت الفداد، وهو الأكار بالثور أو الحمار، وفي الحديث:'إن الجفاء والقسوة في الفدادين' الصديد من الأصوات الشديد كالضجيج، وفي القرآن: 'إذا قومك منه يصدون'، أي يضجون، الجراهية صون الناس في كلامهم وعلانيتهم دون سرهم، وكذلك الهيضلة، عن أبي زيد"[2]، اجتمعت الأصوات الشديدة في حقل دلالي واحد رغم اختلافها البسيط فيما بينها كلما تغير سياقها، إلا أن معنى واحدا ومشتركا يتركها تشكل كلمة وهو المعنى العام الذي تدل عليه.

أما في حقل تفصيل أصوات الحيوانات، فنجد أن الثعالبي قد فصل فيه كثيرا، وهذا ما سنراه من خلال عرض بعض الفصول من الكتاب فنجد في حقل أصوات الإبل في الفصل الثاني

[1]: الثعالبي، فقه اللغة، ص165.
[2]: المصدر نفسه، ص 223.

عشر من الباب العشرين، قوله:"إذا أخرجت الناقة صوتا من حلقها ولم تفتح به فاها قيل: أرزمت (وذلك على ولدها حتى ترأمه)، والحنين أشد من الرزمة، فإذا قطعت صوتها ولم تمده قيل: بغمت وترغمت، فإذا ضجت قيل:رغت، فإذا طربت في إثر ولدها قيل: حنت، فإذا مدت حنينها قيل: سجرت، فإذا مدت الحنين على جهة واحدة قيل: سجعت، فإذا بلغ الذكر من الإبل الهدير قيل: كش، فإذا زاد عليه قيات، كشكش وقشقش، فإذا ارتفع قليلا قيل: كت وقبقب، فإذا أفصح بالهدير قيل: هدر، فإذا صفا صوته قيل:قرقر، فإذا جعل يهدر كأنه يقصره قيل: زغد، فإذا جعل كأنه يقلعه قيل:قلخ"[1]، وفي حقل أصوات الخيل في الفصل الثالث عشر" الصهيل صوت الفرس في أكثر أحواله، الضبح صوت نفسه إذا عدا (وقد نطق به القرآن)، القبع صوت يردده من منخره إلى حلقه إذا نفر من شيئ أو كرهه، الحمحمة صوته إذا طلب العلف أو رأى صاحبه فاستأنس إليه، الخضيعة والوقيب صوت بطنه، وكذلك البقبقة والقبقبة، والرعاق والرعيق صوت يسمع من قنبه، كما يسمع الوعيق من ثفر الرمكة"[2]، وحقل أصوات البغل والحمار، جاء في الفصل الرابع عشرقول الثعالبي:" الشحيج للبغل، النهيق للحمار، السحيل أشد منه، الزفير أول صوته، والشهيق آخره"[3]، وفي الفصل الخامس عشر في حل أصوات ذات الظلف:" الخوار للبقر، الثغاء للغنم، الثؤاج للضأن، اليعار للمعز، النبيب للتيس، الهبيب صوته إذا أراد السفاد"[4]، وفي الفصل السادس عشر في حقل أصوات السباع والوحوش،قال: " الصئي للفيل والنئيم فوقه، الزئير للأسد، والنهيت دونه، العواء والوعوعة للذئب، التضور والتلعلع صوته عند جوعه، النباح للكلب، والضغاء له إذا جاع، والوقوقة إذا خاف، والهرير إذا أنكر شيئا أو كرهه، الضباح للثعلب، القباع للخنزير، المواء للهرة (قال اللحياني: ماءت تموء مثل ماعت تموع)، والخرخرة صوتها في نعاسها (ويقال بل هي للنمر)، الضحك للقرد، النزيب للظبي، وكذلك البغوم، قال الليث: بغوم الظبي أرخم صوته، الضغيب للأرنب(ويقال بل هو تضوره عند الأخذ)، قال ابن شميل: قهقاع الدب حكاية صوته في ضحكه"[5]، وفي الفصل السابع عشر في حقل أصوات الطيور" العرار للظليم، الزمار للنعامة،

[1]: الثعالبي، فقه اللغة، ص168
[2]: المصدر نفسه، ص 169
[3]: المصدر نفسه، ص نفسها
[4]: المصدر نفسه، ص نفسها
[5]:المصدر نفسه،ص169

الصرصرة للبازي، الغقغقة للصقر، الصفير للنسر، الهديل والهدير للحمام، السجع للقمري، العندلة للعندليب، اللقلقة للقلق، البطبطة للبط، الهدهدة للهدهد، القطقطة للقطا، وينشد:

تدعو القطا، وبها تدعى، إذا نسبت يا * حسنها حين تدعوها فتنتسب**

(أي تصيح: قطاقطا)، الصقاع والزقاء للديك، النقنقة والقوقاء للدجاجة، والقيق صوتها إذا دعت الديك للسفاد، عن ابن الأعرابي، الإنقاض صوتها إذا أرادت البيض، الترقيب للمكاء، السقسقة للعصفور، النعيق والنعيب للغراب(قال بعضهم نعيقه بالخير ونعيبه بالبين)"[1]، وجاء في الفصل الثامن عشر في حقل أصوات الحشرات:" فحيح الحية بفيها، وكشيشها بجلدها، وحفيفها من تحرش بعضها ببعض إذا انسابت، النقيق للضفدع، الصئي للعقرب والفأرة، الصرير للجراد، (قال أبو سعيد الضرير: تقول العرب: سمعت للجراد حترشة وهي صوت أكله)"[2]، هكذا يجمع الثعالبي حقولا كثيرة متعلقة بأصوات الحيوانات على اختلافاتها، في حقل دلالي واحد وشامل.

---

[1]: الثعالبي، فقه اللغة، ص 170

[2]: المصدر نفسه، ص نفسها

المبحث الثاني : 'عناصر نظرية الحقول الدلالية من خلال كتاب فقه اللغة':

تهتم نظرية الحقول الدلالة اهتماما بالغا بالمعنى، فهو أساس تكونها، بل يعد المعنى موضوع هذه النظرية، انطلاقا من الألفاظ من حيث تشكيلها للحقل الواحد، إضافة إلى الاهتمام بالعلاقات بين الكلمات داخل الحقل الدلالي المحدد، فإن الدلالي بهذا، مطالب بمعالجة بعض نماذج علاقات المعنى بين الوحدات المحددة.[1] وهذه النظرية قائمة على أساس بيان العلاقة بين الكلمة والكلمات الأخرى الموجودة معها في الحقل نفسه، فقد اهتم أصحاب هذه الدراسة ببيان أنواع العلاقات داخل الحقل المعجمي، أي العناصرالمشكلة للنظرية وقرروا أنها لا تخرج عن الأنواع التالية:

1- الترادف:

وهو أن يدل أكثر من لفظ على معنى واحد إذا تساوت المكونات أو إذا حلت كلمة محل كلمة أخرى داخل الجملة ولم يتغير المعنى[2].

"والترادف بالمعنى الواسع يعني الكلمات التي تختلف في ألفاظها وتتفق في معانيها، وذلك هو المعنى الذي أعطي للترادف في المعاجم المخصصة"[3]، هكذا ارتبط الترادف بمعنى اللفظة وعلاقتها بأخرى، يشكل اختلافا في الشكل وائتلافا في المعنى، فهو دلالة عدة ألفاظ على معنى واحد مثل: الليث و الأسد و الهزبر، والقمح والبر...الخ، وهو من الظواهر الدلالية في العربية وغيرها من اللغات، ويرتبط أيضا بالدراسات المعجمية والتأريخية، وله علاقة بعلم اللغة الجغرافي، من حيث توزيع اللهجات على أقاليمها، أو قبائلها المعروفة، وهو من العوامل الهامة للتوسع اللغوي، فتعدد الأسماء للمسمى الواحد له أثر كبير في تنمية الثروة اللفظية، وعلماء العربية القدامى أعطوا عناية فائقة لظاهرة الترادف، حيث إن بعضهم ألف كتبا مستقلة في ذلك، 'كالرماني' في 'الألفاظ المترادفة'، و'الأصمعي' في 'ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه'، وغير ذلك من الكتب، ومن الترادفات الموجودة في كتاب فقه اللغة للثعالبي في الفصل السادس والثلاثين 'تريب الشجاعة' قوله: "رجل شجاع، ثم بطل، ثم صمة، ثم بهمة، ثم ذمر، ثم حلس وحلبس، ثم أهيس أليس، ثم نكل، ثم

---

[1]: ينظر،كلود جرمان، ريمون لوبلون، علم الدلالة،تر:نور الهدى لوشن، ط1 ، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، 1997 ص 60

[2]: ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 215

[3]: كلود جرمان، ريمون لوبلون، علم الدلالة، ص 61

نهيك ومخرب، ثم غشمشم وأيهم"[1]، فكلمة شجاع لها مرادفات كثيرة كما ذكرها الثعالبي، حتى وإن تطورت معاني المترادفات حسب السياق الذي توضع فيه، وفي تفصيل أوصاف الجبان وترتيبها، قال:"رجل جبان وهيابة، ثم مفؤود إذا كان ضعيف الفؤاد، ثم ورع ضرع إذا كان ضعيف القلب والبدن، ثم فعفاع ووعواع وهاع لاع إذا زاد جبنه وضعفه، عن المؤرج والليث، ثم منخوب ومستوهل إذا كان نهاية في الجبن، ثم هوهاة وهجهاج إذا كان نفورا فرورا، عن أبي عمرو، ثم رعديدة ورعشيشة إذا كان يرتعد ويرتعش جبنا، ثم هردبة إذا كان منتفخ الجوف لا فؤاد له، عن أبي زيد وغيره"[2]، فرغم اختلافها اختلافا طفيفا في مدلولها، إلا أنها تشترك في الجبن والضعف، وجاء في ترتيب خفة اللحم:" رجل نحيف إذا كان خفيف اللحم خلقة لا هزالا، ثم قضيف، ثم ضرب، ثم شخت، ثم سرعرع"[3]، وعكسه ماجاء في الفصل الثالث والعشرون من الباب العشر: "رجل سمين، ثم لحيم، ثم شحيم، ثم بلندح، وعكوك، وامرأة سمينة، ثم رضراضة، ثم خدلجة، ثم عركركة، وعضنكة"[4]، فالشائع في اللغة العربية أنه لا توجد كلمة تساوي كلمة أخرى، لأن السياقات والمواقف تختلف، إنما هناك كلمة تحمل معنى كلمة أخرى، وهذا هو الترادف بعينه، وفي ترتيب هزال البعير" بعير مهزول، ثم شاسب، ثم شاسف، ثم خاسف، ثم نضو، ثم رازح، ثم رازم"[5] وورد في الباب السادس عشر، في الفصل الثاني 'ترتيب أحوال العليل:" عليل، ثم سقيم ومريض، ثم وقيذ، ثم دنف، ثم حرض ومحرض"[6]، أما الباب السابع عشرفقد أورد الثعالبي الترادف في الفصل الخامس في ترتيب صفات الأحمق، يقول:" إذا كان به أدنى حمق وأهونه، فهو أبله، فإذا زاد ما به من ذلك وانضاف إليه عدم الرفق في أموره فهو أخرق، فإذا كان به مع ذلك تسرع وفي قده طول فهو أهوج، فإذا لم يكن له رأي يرجع إليه، فهو مأفون ومأفوك، فإذا كان كأن عقله قد أخلق وتمزق فاحتاج إلى أن يرقع فهو رقيع، فإذا زاد على ذلك، فهو مرقعان ومرقعانة، فإذا زاد حمقه فهو بوهة وعباماء، ويهفوف، عن الفراءن فإذا اشتد حمقه، فهو خنفع هبنقع وهلباجة وعفنجج، عن أبي عمرو وأبي زيد، فإذا كان مشبعا حمقا فهو عفيك ولفيك، عن أبي عمرو وحده"[7]، اللافت

[1]: الثعالبي،فقه اللغة وسر العربية،ص 68
[2]: المصدر نفسه، ص 69
[3]: المصدر نفسه، ص 65
[4]: المصدر نفسه، ص 64
[5]: المصدر نفسه، ص 66
[6]: ص، 112
[7]: المصدر نفسه، ص 122

للانتباه فيما أوردناه من أمثلة، دقة الألفاظ التي يعتمدها الثعالبي، فتغير الموقف والسياق عنده يؤدي مباشرة إلى تغير اللفظة، حتى وإن حافظت على معناها العام في سياق علاقتها مع بعضها في المعنى الواحد والسياق العام الذي يجمعها بهم، ومن الترادف كذلك ما ورد في الفصل الثالث من الباب السادس، في ترتيب القصر" رجل قصير ودحداح، ثم حنبل وحزنبل، عن أبي عمرو بن العلاء والأصمعي، ثم حنزاب وكهمس، عن ابن الأعرابي، ثم بحتر وحبتر، عن الكسائي والفراء، فإذا كان مفرط يكاد الجلوس يوازيه فهو حنتار وحندل، عن الليث وابن دريد، فإذا كان كأن القيام لا يزيد في قده حنزقرة، عن الأصمعي وابن الأعرابي"[1]، كل هذه الكلمات مرادفة للفظة قصر، وفي الفصل الثالث والعشرين من الباب العاشر " رجل سمين، ثم لحيم، ثم شحيم، ثم بلندح، وعكوك، وامرأة سمينة رضراضة، ثم خدلجة، ثم عركركة، وعضنكة"[2]، هذه مرادفات للفظة سمين، وفي الباب نفسه، جاء في الفصل الثامن والعشرون " رجل هزيل، ثم أعجف، ثم ضامر، ثم ناحل"، وفي الفصل الذي يليه وردت مرادفات هزال البعير "بعير مهزول، ثم شاسف، ثم حاسف، ثم نضو، ثم رازح، ثم رازم"[3]، وفي مرادفات الشجاعة ورد في الفصل الخامس والثلاثين "رجل شجاع، ثم بطل، ثم صمة، ثم بهمة، ثم ذمر، ثم حلس وحلبس، ثم أهيس أليس، ثم نكل، ثم نهيك ومخرب، ثم غشمشم وأيهم"[4]، وفي مرادفات السواد قوله: "أخطب، أغبش، أغبر، قاتم، أصدأ، أحوى، أكهب، أربد، أغثر، أدغم، أظمى، أورق، أخصف"[5]، وفي مرادفات الخدش ورد في الفصل السابع والعشرين من الباب الثالث عشر "الخدش والخمش، ثم الكدح والسحج، ثم الجحش، ثم السلخ"[6]، وفي مرادفات البيض قال الثعالبي في الفصل الثامن والخمسون من الباب الخامس عشر: "البيض للطائر، المكن للضب، المازن للنمل، الصؤاب للقمل، السرء للجراد"[7]، هكذا يغني الثعالبي كتابه بالمترادفات التي تشترك جميعها في معنى واحد وتشكل في اشتراكها في فصل واحد كما رتبها صاحبها، تشكل حقلا دلاليا، تختلف الألفاظ فيه باختلاف سياقها، لكن هذا يعطيها معنى واحدا لاشتراكها في حقل دلالي واحد.

[1]: الثعالبي،فقه اللغة، ص49
[2]: المصدر نفسه، ص64
[3]: المصدر نفسه، ص 66
[4]: المصدر نفسه، ص 78
[5]: المصدر نفسه،ص 83
[6]: المصدر نفسه، ص 86
[7]: المصدر نفسه، ص 108

2-المشترك اللفظي:

"هو اللفظ الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة متساوية، كالخال لأخ الأم، وللشامة في الوجه، وللبعير الضخم، وللسحاب، وكالعين للباصرة، وللجارية، ولأحد النقدين، وللمرتقب أعمال الناس وهو الجاسوس"[1].

ويرجع العلماء شيوع المشترك اللفظي إلى عدة عوامل عل أبرزها:

– اختلاف القبائل، فكل قبيلة تطلق اسما على شيئ تعارفت عليه.

– شيوع الاستعمال المجازي التي تشتهر وتصبح في درجة الحقائق، 'كالحوت'، فهو في الأصل السمك، ثم أطلق على أحد بروج السماء تجوزا وشاع حتى صار حقيقة فيه.

– اختلاف الاشتقاق، وذلك بأن تؤدي القواعد الصرفية إلى أن تتفق لفظتان متقاربتان في صيغة واحدة، فينشأ عن ذلك تعدد في معنى هذه الصيغة يؤدي إلى جعلها من المشترك مثل وجد 'يجيء ماضيا بمعنى العثور، مثل: وجدت الضالة، أي عثرت عليها، والوجد بمعنى الحب، فيقال وجد به وجدا، إذا هويه وأخلص في حبه.

وقد أدرك العرب منذ القديم ظاهرة الاشتراك اللفظي، وتتبعوا ألفاظها دون الاهتمام بأصل نشوئهاأو تطورها، واختلف العلماء في إمكان وقوعه، وذهب بعضهم إلى أنه ممكن الوقوع، أي أقرهذا الفريق بحتمية وجود المشترك ودليلهم في ذلك، السماع عن العرب ويؤكدون هذا السماع بأننا نجد في الحرف مشتركا بين معان عدة 'كمن' للابتداء، وللتبعيض، وغيرها من المعاني، كما برروا ذلك باشتراك الأزمنة كاشتراك الحاضر والمستقبل كقولنا في الدعاء: 'عافاه الله'، كما أنكر بعض علماء العربية القدامى المشترك اللفظي، كابن درستويه، وأبي علي الفارسي الذي يرى، أن اتفاق اللفظتين واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون قصدا في الوضع، ولا يكون أصلا، ولكنه من لغات تداخلت، أو أن تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيئ، فتكثر وتغلب، فتصير بمنزلة الأصل[2]، ومن جهة مقابلة نجد ابن جني وابن قتيبة قد اهتما كثيرا بهذه القضية وأقراها، فابن جني قد أشار إلى الاشتراك في الحروف والأسماء والأفعال، فيرى أن الأسماء مثلا تقع مشتركة، نحو: الصدى، فإنه ما يعرض الصوت، وهو بدن الميت، وهو نوع من الطيور يخرج كما يدعون من رأس

---

[1]: الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص 244

[2]: ينظر المرجع نفسه، ص 246

القتيل إذا لم يؤخذ بثأره، وهو أيضا الرجل الجيد، الرعية للمال ، وأما ابن قتيبة، فقد أفرد بابا خاصا للألفاظ المشتركة سماه'باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة'[1].

وأما إذا أردنا تطبيق المشترك اللفظي على كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبي، فإننا ومن خلال بحثنا، وجدنا ثلاثة فصول يتحدثون في هذا السياق، ووردوا جميعا في القسم الثاني من الكتاب'سر العربية'، وبالضبط في الفصل الخامس والتسعون، لكننا لم نجد الثعالبي يطلق عليه اسم المشترك اللفظي، في هذا الفصل ولكن أعطاه اسما آخر هو 'التجنيس' يقول فيه: " هو أن يجانس اللفظ اللفظ في الكلام والمعنى مختلف، كقول الله عز وجل:'وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين'،وقوله:'يا أسفى على يوسف'، وقوله تعالى:'فأدلى دلوه'، وكقوله عز وجل:'فأقم وجهك للدين القيم'، وكقوله تعالى:'يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار"، وكقوله تعالى:' فروح وريحان وجنات نعيم'، وكقوله تعالى:'وجنى الجنتين دان'، وكما جاء في الخبر:' الظلم ظلمات يوم القيامة'، 'آمن من آمن بالله'،'إن ذا الوجهين لا يكون وجيها عند الله'، ولم أجد التجنيس في شعر الجاهلية إلا قليلا، كقول الشنفرى:

وبتنا كأن النبت حجر فوقنا * بريحانة ريحت عشاء وطلت**

وقول امرئ القيس:

لقد طمع الطماح من بعد أرضه * ليلبسني من دائه ما تلبسا**

وقوله:

ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي**

وفي شعر الإسلاميين المتقدمين كقول ذي الرمة:

كأن البرى والعاج عيجت متونه * على عشر نهى به السيل أبطح**

وكقول رجل من بني عبس:

وذلكم أن ذل الجار حالفكم * وأن أنفكم لا يعرف الأنفا**

فأما في شعر المحدثين فأكثر من أن يحصى"[2] ، ومن أمثلة الاشتراك اللفظي كذلك ما وجدنا في الفصلين، السادس والستون، والثامن والستون، يقول في الفصل السادس والستين 'في وقوع فعل واحد على عدة معان':" من ذلك قولهم: قضى بمعنى حتم، كقوله تعالى:'فلما قضينا عليه

[1]: ينظر، الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص 244

[2]: الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص 298، 299

الموت'،وقضى بمعنى أمر، كقوله تعالى: 'وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه'، أي: أمر، ويكون قضى بمعنى صنع، كقوله تعالى: 'فاقض ما أنت قاض'، أي: فاصنع ما أنت صانع، ويكون قضى بمعنى حكم، كما يقال للحاكم قاض، وقضى بمعنى أعلم، كقوله تعالى:'وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب'، أي أعلمناهم، ويقال للميت قضى، إذا فرغ من الحياة، وقضاء الحاجة معروف، زمنه قوله تعالى:'إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها'، ومن هذا الباب قوله تعالى:'فصل لربك وانحر'، أي: الصلاة المعروفة، وقوله عز وجل: 'وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم'،أي: ادع لهم، وقوله:'إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما'، فالصلاة من الله: الرحمة، ومن الملائكة:الاستغفار، ومن المؤمنين: الثناء والدعاء، والصلاة الدين من قوله تعالى في قصة شعيب:'أصلواتك تأمرك، أي دينك، والصلاة كنائس اليهود، وفي القرآن:'لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد'"[1]، وفي الفصل الثامن والستين' في وقوع اسم واحد على أشياء مختلفة' قال الثعالبي:"من ذلك عين الشمس، وعين الماء، ويقال لكل واحد منهما العين، والعين النقد من الدراهم، والعين الدنانير، والعين السحابة من قبل القبلة، والعين مطر أيام لا يقلع، والعين الديدبان والجاسوس، والرقيب، وكلهم قريب من قريب، ويقال في الميزان، عين إذا رجحت إحدى كفتيه على الأخرى، والعين عين الركية، وعين الشيئ نفسه، وعين الشيئ خياره، والعين الباصرة، والعين مصدر عانه عينا، ومن ذلك الخال أخو الأم، ونوع من البرود، والاختيال والغيم، وواحد الخيلان، ومن ذلك الحميم يقع على الماء الحار، والقرآن ناطق به.قال أبو عمرو: والحميم الماء البارد، وأنشد:

فساغ لي الشراب وكنت قبلا * أكاد أغص بالماء الحميم**

الحميم الخاص، يقال: دعينا في الحامة لا في العامة، والحميم العرق، والحميم الخيار من الإبل، ويقال: جاء المصدق فأخذ حميمها أي خيارها.

(ومن ذلك المولى).

هو السيد، والمعتق، والمعتق، وابن العم، والصهر، والجار، والحليف.

(ومن ذلك العدل).

[1]: الثعالبي ،فقه اللغة، ص 285

هو الفدية، من قوله تعالى:'ولا يؤخذ منها عدل'، أي فدية، والمثل، من قوله تعالى: 'أو عدل ذلك صياما'، والعدل القيمة، والرجل الصالح، والحق، وضد الجور.

(ومن ذلك المرض)

المرض في القلب هو الفتور عن الحق، وفي البدن فتور الأعضاء، وفي العين فتور النظر."[1]

من هذه النماذج على قلتها، إلا أنها تثبت اهتمام الثعالبي بجانب المشترك اللفظي، فنجد فيه اشتراكا في اللفظ واختلافا في المعنى.

3- التضاد:

وهو كل ما دل على معنيين متضادين أو متقابلين مثل : حي وميت، حار وبارد، طويل وقصير .... وهكذا.

وقد عرف منذ القدم على أنه من أكثر العلاقات الدلالية أهمية، وقد كان موضع إرباك كبير، لأنه أولا: قد اعتبر متممًا للترادف، وثانيًا: لأن أغلب الدلاليين قد فشلوا في إعطاء الاهتمام الكافي للأنواع المختلفة من التضاد.

ولا تنفرد اللغة العربية بهذه الظاهرة فهو موجود في أكثر اللغات كاللاتينية والفرنسية والإنجليزية، وقد أورد الدكتور أحمد مختار أنواعًا متعددة من التضاد أو التقابل وهي:

أ- التضاد الحاد مثل : حي وميت، متزوج وأعزب، ذكر وأنثى، وقد أورده جون ليونز باسم التباين، ومن خصائص مثل هذه الأزواج من العناصر المعجمية أن نفي أحدهما يتضمن تأكيد الآخر، وتأكيد أحدهما يتضمن نفي الآخر.

ب- التضاد المتدرج مثل: غال حار، دافئ معتدل، مائل للبرودة بارد قارس متجمد ومثل: طريق واسع وضيق، فالطريق قد يكون واسعًا، أو واسعًا جدًا، فهنا يوجد تدرج للاتساع، وقد حاول سابير أن يبرهن على أننا لابد أن نتناول هذه الكلمات كلها بالنظر إلى قابلية التدرج.

ج- التضاد العكسي مثل: باع واشترى، زوج وزوجة، فكلمة يبيع معاكسة ليشتري، وكلمة يشتري معاكسة لكلمة يبيع.

---

[1]: الثعالبي، فقه اللغة، ص 286

د- التضادالاتجاهي مثل: أعلى وأسفل، يصل ويغادر، فكلها يجمعها حركة في أحد اتجاهين متضادين لمكان ما.

هـ- التضادات العمودية مثل: الشمال بالنسبة للشرق والغرب، حيث يقع عموديًا عليهما.

و- التضادات التقابلية أو الامتدادية مثل: الشمال بالنسبة للجنوب، والشرق بالنسبة للغرب.[1]

وتشكل ظاهرة التضاد إحدى مظاهر البحث الدلالي عند علماء العرب، حيث تتمثل في دخول معاني جديدة على المعاني الأصلية للألفاظ، بفعل عوامل عدة، كالمجاز في كلمة 'الكأس': الإناء الذي يشرب فيه، و'الكأس': ما فيه من الشراب، وكالتطور الصوتي فقد يحدث أحيانا أن توجد كلمتان مختلفتان، لهما معنيان متضادان، فتطور أصوات إحداهما بصورة تجعلها تنطبق على الأخرى تماما، فيبدو الأمر كما لو كانت كلمة واحدة لها معنيان متضادان،[2] ومن أمثلة ذلك في العربية، قول بني عقيل:"لمقت الكتاب أي كتبته، وقول سائر قيس: لمقت الكتاب، أي محوته'، هكذا يبدوالتضاد في الفعل 'لمق'، غير أننا إذا عرفنا أن هناك فعلا آخر بمعنى الكتابة، هو 'نمق'، عرفنا أن بني عقيل، قد تطور هذا الفعل الأخير في نطقها، فأبدلت النون لاما، والنون واللام من الأصوات المتوسطة في العربية، تلك الأصوات التي يحدث فيها الإبدال كثيرا، وبذلك صار الفعل 'لمق'، فتطابق مع نظيره، بمعنى:'محا'، وتولد التضاد بين المعنيين عن هذا الطريق"[3]، ومن التضادات التي ذكرها الثعالبي في كتابه، كانت معظمها في شكل حقول متضادة، أي جعلها فصولا تختلف في المعنى عن فصول أخرى، يقول في الباب العاشر في الفصل الثلاثين، 'في تفصيل الغنى وترتيبه': الكفاف ثم الغنى، ثم الإحراف وهو أن ينمي المال ويكثر، عن الفراء، ثم الثروة ثم الإكثار، ثم الإتراب(وهو أن تصير أمواله كعدد التراب)، ثم القنطرة وهو أن يملك الرجل القناطير من الذهب والفضة، عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، وفي بعض الروايات: قنطر الرجل إذا ملك أربعة آلاف دينار'، ثم يأتي الفصل الثاني والثلاثون، وهو عكس الفصل السابق، 'في تفصيل الفقر وترتيب أحوال الفقير': إذا ذهب مال الرجل قيل: أنزف وأنفض، عن الكسائي، فإذا ساء أثر الجدب

---

[1]: ينظر، أحمد مختار عمر، ص 101 ، 102

[2]: ينظر، الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص 247

[3]: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ط2 ن مكتبة الخانجي، القاهرة 1980 ، ص 251 ، 252

والشدة عليه وأكلت السنة ماله قيل: عصب فلان، عن أبي عبيدة، فإذا قلع حلية سيفه للحاجة والخلة قيل: أنقح فلان، عن ثعلب عن ابن الأعرابي، فإذا أكل خبز الذرة وداوم عليه لعدم غيره قيل: طهفل، عن ابن الأعرابي أيضا، فإذا لم يبق له طعام قيل: أقوى، فإذا ضربه الدهر بالفقر والفاقة قيل أصرم وألفج، فإذا لم يبق له شيئ قيل: أعدم وأملق، فإذا ذل في فقره حتى لصق بالدقعاء، وهي التراب، قيل أدقع، فإذا تناهى سوء حاله في الفقر قيل: أفقع، عن الليث عن الخليل"[1]، وحمل الباب السادس تضادا في العنوان 'في الطول والقصر'، فكان الفصل الأول في ترتيب الطول وجاء فيه:" رجل طويل ثم طوال، فإذا زاد فهو شوذب وشوقب، فإذا دخل في حد ما يذم به الطول فهو عشنط وعشنق، فإذا أفرط طوله وبلغ النهاية فهو شعلع وعنطنط وسقعطرى، عن أبي عمرو الشيباني'، أما الفصل الثالث فكان في ترتيب القصر، ' رجل قصير ودحداح، ثم حنبل وحزنبل، عن أبي عمرو بن العلاء والأصمعي، ثم حنزاب وكهمس، عن ابن الأعرابي، ثم بحتر وحبتر، عن الكسائي والفراء، فإذا مفرط يكاد الجلوس يوازيه فهو حنتار وحندل، عن الليث وابن دريد، فإذا كان كأن القيام لا يزيد في قده حنزقرة، عن الأصمعي وابن الأعرابي"[2]

وورد في القسم الثاني من الكتاب، ' سر العربية'، وبالضبط في الفصل السادس والتسعين، بعنوان: 'في الطباق' يقول فيه: " هو الجمع بين ضدين، كما قال الله تعالى:'فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا'، وكما قال عز وجل:'تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى'، وكما قال عز وجل:' وتحسبهم أيقاظا وهم رقود'، وكما قال عز من قائل، ' ولكم في القصاص حياة'، ومما جاء في الخبر عن سيد البشر –صلى الله عليه وسلم– :'حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات'، 'الناس نيام فإذا ماتو انتبهوا'، 'كفى بالسلامة داء'، 'إن الله يبغض البخيل في حياته، والسخي بعد موته'، 'جبلت القلوب على حب من أحسن إليها'، 'احذروا من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره'، ومما جاء في الشعر قول الأعشى:

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم *** وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وقول عبد بني الحسحاس:

إن كنت عبدا فنفسي حرة كرما *** أو أسود الخلق إني أبيض الخلق

وقول الفرزدق:

[1]: الثعالبي، فقه اللغة، ص 66 ، 67

[2]: المصدر نفسه، ص 48، 49

والشيب ينهض في الشباب كأنه *** ليل يصيح بجانبيه نهـار

وكقول البحتري:

وأمة كان قبح الجور يسخطها *** دهرا فأصبح حسن العدل يرضيها".[1]

عقد الثعالبي من خلال هذه الشواهد القرآنية والشعرية، لمجموعة من التضادات، وأسماها بالطباق، منها ما نستطيع تحديده مثلا من خلال الأبيات الشعرية:(ملاء خمائصا، عبدا حرة، أسود أبيض، ليل نهار، قبح حسن)، ورغم قلة التضاد وعدم اعتماد الثعالبي عليه بشكل لافت، إلا أن ذكره لبعض الكلمات والفصول المتضادة يوحي باعترافه بهذا الجانب، كما نلحظ اعتماده على الشواهد، من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكذا من الشعر.

4- الحقول المتدرجة:

وهي مجموعة من الألفاظ تنتمي إلى حقل واحد دلالي، يجمعها كما ذكرنا سابقا المعنى، لكننا نجدها في شكل متدرج، وتكون إما من الأعلى إلى الأسفل، أو من الأسفل إلى الأعلى، وقد نبه إليها أول مرة ' ماير' في الرتب العسكرية، ومن التضاد المتدرج ما وجدناه في الفصل الأول و الثاني من الباب الرابع عشر في ' ترتيب سن الغلام، وفي ترتيب أحواله وتنقل السن به إلى أن يتناهى شبابه' يقول الثعالبي: "يقال للصبي إذا ولد رضيع، وطفل، ثم فطيم، ثم دارج، ثم حفر، ثم يافع، ثم شدخ، ثم مطبخ، ثم كوكب"، وفي الفصل الثاني:" مادام في الرحم فهو جنين، فإذا ولد فهو وليد، ومادام لم يستتم سبعة أيام فهو صديغ، لأنه لم يشتد صدغه إلى تمام السبعة، ثم مادام يرضع فهو رضيع، ثم إذا قطع عنه اللبن فهو فطيم، ثم إذا غلظ وذهبت عنه ترارة الرضاع فهو جحوش، عن الأصمعي، وأنشد للهذلي:

قتلنا مخلدا وابني حراق *** وآخر جحوشا فوق الفطيم

قال الأزهري: كأنه مأخوذ من الجحش الذي هو ولد الحمار، ثم هو إذا دب ونما فهو دارج، فإذا بلغ طوله خمسة أشبار، فهو خماسي، فإذا سقطت رواضعه فهو مثغور، عن أبي زيد، فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو مثغر بالثاء والتاء، عن أبي عمرو، فإذا كاد يجاوز العشر السنين أو جاوزها، فهو مترعرع وناشئ، فإذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه، فهو يافع، ومراهق، فإذا احتلم واجتمعت قوته، فهو حزور وحزور، واسمه في جميع هذه الأحوال التي ذكرنا غلام، فإذا اخضر

[1]: الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص 299، 300

شاربه وأخذ عذاره يسيل قيل: بقل وجهه، فإذا صار ذا فتاء، فهو فتى وشارخ، فإذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه، فهو مجتمع، ثم مادام بين الثلاثين والأربعين فهو شاب، ثم هو كهل إلى أن يسوفي الستين"[1]، هكذا يتدرج عمر الطفل عند الثعالبي، ونجده كذلك نبه إلى تدرج سن المرأة في الفصل السابع من الباب نفسه، يقول: "هي طفلة مادامت صغيرة، ثم وليدة إذا تحركت، ثم كاعب إذا كعب ثديها، ثم ناهد إذا زاد، ثم معصر إذا أدركت، ثم عانس إذا ارتفعت عن حد الإعصار، ثم خود إذا توسطت الشباب، ثم مسلف إذا تجاوزت الأربعين، ثم نصف إذا كانت بين الشباب والتعجيز، ثم شهلة كهلة إذا وجدت مس الكبر وفيها بقية وجلد، ثم شهبرة إذا عجزت وفيها تماسك، ثم حيزبون إذا صارت عالية السن ناقصة القوة، ثم قلعم ولطلط إذا انحنى قدها وسقطت أسنانها"[2]، هكذا تتدرج الأشياء عند الثعالبي، في ترتيب تصاعدي، فهو بمثابة الراصد، أو الفلكي الذي يتتبع تطورها ونماءها، ويقدم لكل مرحلة لفظتها التي تجعلها تختلف عن الأخرى، رغم انتمائها إلى معنى عام وشامل يجمعها، ويمكن توضيح تدرج الحقول الدلالية عند الثعالبي من خلال الدوائر الدلالية الآتية:

في ترتيب ضخم المرأة [3]

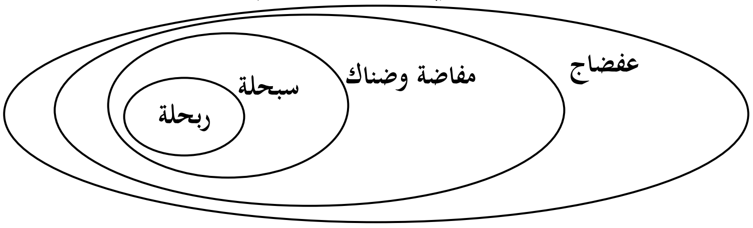

في ترتيب الطول على القياس والتقريب[4]

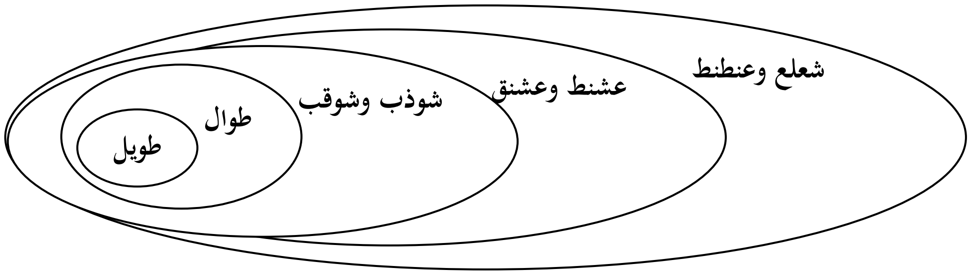

1: الثعالبي، فقه اللغة ص 87، 88

2: المصدر نفسه، ص 89

3: ينظر المصدر نفسه، ص47.

4: المصدر نفسه، ص 48

في ترتيب السكر[1]

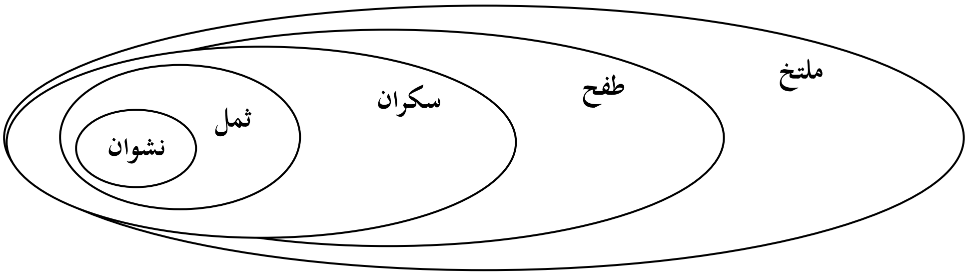

في تفصيل الغنى وترتيبه[2]

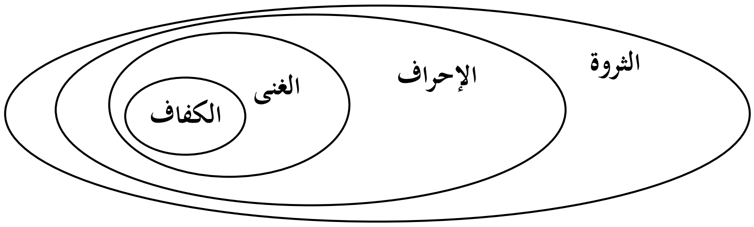

في تفصيل الفقر وترتيب أحوال الفقير[3]

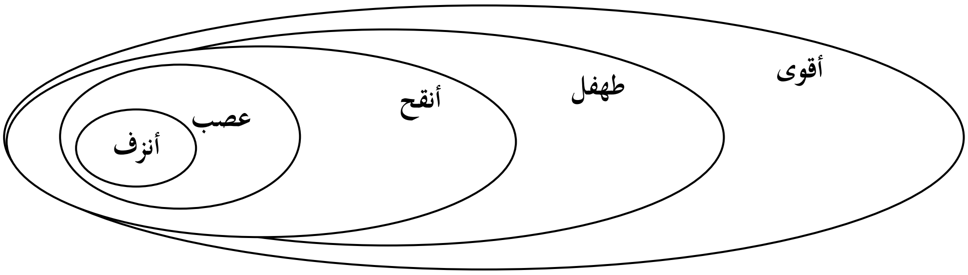

5- الحقول الاشتقاقية:

"هي حقول صرفية، تلاحظ في اللغة العربية بشكل أوضح مما في اللغات الأخرى، وتصنف الوحدات في هذا المجال بناء على قرابة الكلمات في ضوء العلامات الصرفية التي تعد سمة صورية ودلالية مشتركة بينها داخل الحقل الواحد، وهذا النوع من الحقول موجود في اللغة العربية دون غيرها من اللغات، فقد تدل صيغة: فعالة، بكسر الفاء، على المهن والصنائع، مثل: جزارة، سفانة، تجارة، في حين تدل صيغة مفعل على المكان، مثل: مسبح، منزل، مربد"[4]، تتغير معاني

[1]: الثعالبي، فقه اللغة ص 209
[2]: ينظر المصدر نفسه، ص 66.
[3]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[4]: أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص 18

الألفاظ بتغير الصيغ الصرفية، فالحروف واحدة لكن الأوزان مختلفة، أدت بالضرورة إلى انتقال المعاني وتغيرها، ومن الحقول الاشتقاقية في كتاب 'فقه اللغة وسر العربية'، ما وجدناه في الجزء الثاني من الكتاب، في الفصل الخامس والستون 'في تقارب اللفظين واختلاف المعنيين': "حرج فلان: إذا وقع في الحرج، وتحرج إذا تباعد عن الحرج، وكذلك أثم وتأثم، وهجد إذا نام، وتهجد إذا سهر، وفزع فلان إذا أتاه الفزع، وفزع عنه إذا نحي عنه الفزع، وفي كتاب الله:'حتى إذا فزع عن قلوبهم'، أي أخرج الفزع عنها، ويقال: امرأة قذور، أي متصونة عن الأقذار، واللفظ يشبه ضد ذلك"[1] ، وما ورد كذلك في الفصل السابع والستين من القسم نفسه 'في كلمة واحدة من الألفاظ تختلف معانيها باختلاف مصدرها' :" هي قولهم: (وجد) كلمة مبهمة: فإذا صرفت قيل في ضد العدم، وفي المال وجدا، وفي الغضب موجدة، وفي الضالة وجدانا، وفي الحزن وجدا"[2].

لقد أورد الثعالبي بعض الحقول الاشتقاقية، ولمحنا كيف تغير معنى اللفظة فيها بتغير اشتقاقه، وإن حافظ على حروفه الأصلية، فلفظة ' هجد' على وزن 'فعل' وردت بمعنى نام، لكن حين أضاف لها الثعالبي التاء وأصبحت 'تهجد' على وزن 'تفعل'، أصبح المعنى معاكسا تماما للمعنى الأول أي بمعنى سهر، فاالاشتقاق يؤدي إلى تغير المعاني، فمرة يوحي بالمبالغة، ومرة بالضد وهكذا.

[1]: الثعالبي، فقه اللغة، ص 283 ، 284

[2]: المصدر نفسه، ص 285

خاتمـــة:

علم الدلالة هو العلم الذي يهتم بدراسة المعنى، ويصب بحثه حول طبيعة المعنى، ومميزات الدلالة، وما غاية الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية، إلا توضيح المعنى، وإزالة الغموض، ونظرا لهذه الأهمية التي انفردت بها الدلالة، جعلتها موضع بحثي هذا، الذي حاولت فيه التأصيل لنظرية الحقول الدلالية، و اعتمدت على كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبي، لأتبين اللمحات الأولى لهذا العلم اللساني الحديث، ومن خلال البحث توصلت إلى النتائج الآتية:

– دقة الألفاظ التي اعتمدها الثعالبي في كتابه، فتحرك بسيط في السياق يؤدي عنده إلى تغير المعنى، وبالتالي تغير اللفظة، رغم اشتراك ألفاظ الحقل الواحد في معنى عام وشامل.

– تتضح الحقول الدلالية عند الثعالبي اتضاحا واسعا، من خلال الفصول التي اعتمدها، فكل فصل يوحي بحقل دلالي واحد.

- توسع الحقول الدلالية عنده، لتشمل مجموعة من الحقول الصغرى، وتشكل باجتماعها حقلا دلاليا كبيرا وشاملا، وهو عنده في شكل فصول، تنضوي تحت باب واحد يجمعها، كاجتماع الفصول الدلالية الصغرى، في باب واحد، وهو الباب العشرون "في الأصوات"، فعنوان الباب ' في الأصوات وحكاياتها'، يشكل حقلا دلاليا شاملا، يتضمن حقولا دلالية صغرى وضعها الثعالبي في شكل فصول، منها الفصل لأول 'في ترتيب الأصوات الخفية وتفصيلها'، الفصل الثاني 'في أصوات الحركات'، وهكذا يتابع الثعالبي التفصيل في ذلك.

هكذا تعددت الدراسات في هذا الصدد، وشغل هذا الموضوع الكثير من الباحثين وأصحاب الاختصاص، وهذا النوع من المعاجم الذي يرتب المادة حسب الموضوعات، يعد نظاما قديما، تداوله اللغويون منذ فجر التاريخ، دون إشارة واضحة إلى مصطلح 'نظرية الحقول الدلالية'، واعتمدت في ترتيباتها على الجنس القريب، والفرق النوعي، وهذا ما تسميه، الألسنية الأمريكية، البنائية التدريجية للمعجم.

– اعتماد الثعالبي بعض الأبواب التي لا توحي بنظرية الحقول الدلالية، كونها أبواب شاملة جدا، مثل الباب الأول في 'الكليات'، فلا نستطيع هنا أن نحدد حقلا بعينه، كون الباب يتسم بالشمولية والاتساع.

– أن الفصول عمومًا تدخل ضمن عناوين الأبواب، إلا فيما ندر من ذلك ما ورد في الباب السادس وكان بعنوان، "الطول والقصر"، حيث نجده قد تحدث في الفصل الرابع عن تقسيم العرض فخالف بذلك عنوان الباب.[1]

– يلاحظ في ثنايا الفصول بعض التداخل والاضطراب وعدم الدقة، من ذلك كثرة التكرار حيث يورد الموضوع ثم يكرره في الفصول الأخرى، ولعل ذلك راجع إلى ذكره لأقوال العلماء والأئمة كل على حده، فلو أخذ أقوالهم ورتبها في أثناء عرضه للموضوع، لخلا ذلك من التكرار فمثلا نجد في الفصل العاشر، والثاني عشر من الباب التاسع عشر تكرار في حديثه عن أسماء مشي الصبي والشاب والشيخ، وهذا التكرار كالتالي: في الفصل العاشر:"الرجل يسعى، المرأة تمشي، الصبي يدرج، الشاب يخطر، الشيخ يدلف....،وفي الفصل الثاني عشر:الدرجان مشية الصبي الصغير، الحبو مشي الرضيع على استه، الحجلان والرديان أن يرفع الغلام رجلا ويمشي على أخرى،الخطران مشية الشاب باهتزاز ونشاط...."[2]، ونجد هذا الضطراب في الباب السادس عشر من الفصلين،الخامس والسادس، جاء في الفصل الخامس:"في ترتيب أوجاع الحلق، الحرة، حرارة في الحلق، فإذا زادت فهي الحروة، ثم الثحثحة، ثم الجأز ثم الشرق، ثم الفوق، ثم الجرض، ثم العسف، وهو عند خروج الروح، وفي الفصل السادس، في مثله عن غيرهم في ترتيب أوجاع الحلق،الثحثحة، ثم السعال، ثم البحاح، ثم القحاب، ثم الخناق، ثم الذبحة"[3]، وكان بإمكان الثعالبي أن يجمع هذه الفصول في فصل واحد لكونها تحمل سياقات واحدة، بل نستطيع القول بأنها عملية تكرار للمعلومات نفسها التي أوردها سابقا.

وأسباب هذا الاضطراب كما ذكرنا سابقا، ربما تعود إلى تكرار أقوال العلماء في الفصول والأجدر أن يجمع ما يجتمع، وما يتشابه.

– صعوبة الكشف عن شيئ بعينه والعثور عليه بسهولة، ومن هنا كان للفهرس المرتب على حروف الهجاء، فائدة كبيرة جدا لأنه يمكن الناظر من معرفة طريقه والمفردات المراد البحث عنها دون عناء أكبر.

فإذا أردنا البحث عن كلمة في كتاب الثعالبي، فنحن وبلا شك نذهب مباشرة إلى سياقها العام، أو حقلها، لكن المشكلة التي تعترضنا هنا، هي التصور الذي نحمله عن انتماء اللفظة إلى حقل معين،

[1]: ينظر،الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية،ص 48،49
[2]: المصدر نفسه،ص 152
[3]: المصدر نفسه،ص 113

وربما وضعها الثعالبي في حقل آخر متشابه، حسب رأيه واعتقاده، فأسهل طريقة نراها للبحث هي إخضاع الكتاب للترتيب الهجائي، فمثلا، لو أردنا البحث عن كلمة ' كأس'، ربما نبحث عن باب الأواني، لكنه غير موجود، فنلجأ إلى باب الأشياء، لكن تعترضنا أبواب وفصول متشابهة، نجد الباب الثالث، وفيه عنوان"في الأشياء"، ولكن سرعان ما نجد أبوابا تحمل العنوان نفسه، كالباب الخامس' في صغار الأشياء'[1]، وهكذا بالنسبة لبقية الأبواب والفصول.

ونتيجة لظهور نظرية الحقول الدلالية، ولانتقاد النظرة الألسنية الحديثة للفكرة السائدة التي تعتبر المعاجم جعبة من كلمات متناثرة، لا صلة تربط الواحدة منها بجاراتها، بدأ التفكير في بناء معجم مفهومي يتألف من حقول دلالية تجمع فيها الكلمات، بشكل منظم بدل وضعها في معاجم تقليدية، تشبه المحيط الذي تنصب فيه المياه، من كل حدب وصوب، وبهذا يبتعد المعجم عن النظرة التقليدية التي تعتبره ديوانا لمفردات اللغة، مرتبا على حروف المعجم، إضافة إلى أنه سجل لشرح معاني المفردات، بل والتراكيب أحيانا.[2]

وهذا النوع من المعاجم، ترتب فيها الألفاظ في مجموعات معينة، تجمعها فكرة واحدة، فالأسرة كوحدة أو كمحور عام، يجد فيه الباحث جميع الألفاظ الدالة على الأقارب، وهذا ما يساعد الباحث في الوصول إلى ما يريده في أسرع وقت ممكن، وهكذا صار منهج تصنيف المدلولات حسب الحقول الدلالية، أكثر المناهج حداثة في علم المعاني، لأنه يتجاوز تحديد البنية الداخلية لمدلول الكلمات، بكشفه عن بنية أخرى تؤكد القرابة الدلالية بين مدلولات عدد ما منها، وهكذا تطورت هذه المعاجم، وتنوعت تصنيفاتها لحقولها.

والجدير بالذكر أن معاجم الموضوعات، من خلال دراستنا لموضوع دراسة المعجم العربي يتبن أنه متشعب الجوانب لا يمكن الإحاطة بكل جوانبه خصوصا في نطاق زمني قصير.

فإذا رجعنا إلى هذه الدراسة وتمعنا ما عكسته من أفكار وآراء، نجدها وجهة نظر قد يجانبها الصواب، ولا تأمن من نقص وثغرات وعيوب، فهذه حقيقة البحث العلمي، وحقيقة الطبع الإنساني، و ليعلم دارس العربية أن قيمة البحث في التراث اللغوي، ومنزلته أساس من الأسس للحفاظ على الثروة اللغوية وعلى الدين الإسلامي.

عدا ذلك فإن كتاب الثعالبي كان أفضل الكتب التي درست من ناحية حسن الترتيب التقسيم، فقد كان سديد المنهج كما كان يهتم بالكشف عن دقائق اللغة وأسرارها خالية من الأخطاء الشائعة التي تخرجها عن الفصاحة والاستعمال.

---

[1]: ينظر، الثعالبي، فقه اللغة، ص 38،43

[2]: ينظر، عمار شلواي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، جوان 2002 ، العدد رقم 2 ، ص 44

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

المصـادر:

1- **أبو عبيدة**، كتاب الخيل، الطبعة الأولى، القاهرة.

2 - **الباخرزي**(أبو الحسن)، دمية القصر وعصرة أهل العصر، تح سامي مكي العاني، ط2، دار العروبة، الكويت.

3- **ابن الأثير** ،الكامل في التاريخ مجلد(9/7) ، إدارة الطبعة المنيرية،مصر.

4- **ابن خلكان** (أبو العباس) وفيات الأعيان،وفيات الأعيان،تح إحسان عباس،دار صادر،بيروت.

5- **أبو البقاء** (أيوب بن موسى الحسيني الكفوي)، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،ط2:

6- **الثعالبي** (أبو منصور):

- فقه اللغة وسرالعربية،تح،فائزمحمد، داراالكتاب العربي، (ط1) بيروت، 2006.

- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ،تح، مفيد محمد قميحة،دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ذكر السنة.

- ديوان الثعالبي،تحقيق محمود عبد الله الجادر،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد بدون ذكر الطبعة.

7- **الجاحظ** (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، المطبعة الرحمانية، القاهرة.

8- **الجرجاني**(عبد القاهر)، دلائل الإعجاز في علم المعاني،ط1، تح محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت 1995.

9- **الحصري** (أبو إسحاق إبراهيم) زهر الآداب وثمر الألباب ،تح محمد محي الدين عبد لحميد، (ط4)، بيروت.

10- **الراغب الأصفهاني** (أبو القاسم الحسين بن محمد)، المفردات، دار المعرفة، بيروت، لبناابن

11- **الزمخشري** (القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد) أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 998 /280.

12 - **جرجي زيدان**، تاريخ آداب اللغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية الجزائر 1993.

المراجع:

1- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط5 ،مكتبة الأنجلو مصرية،1984.

2- أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، مؤسسة الرسالة، ط ، بيروت،2003.

3- أحمد الشرقاوي إقبال، معحم المعاجم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987.

4- أحمد أمين، ظهر الإسلام، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، 1945.

5- أحمد طاهر حسنين، نظرية الاكتمال اللغوي عند العرب، ط1 القاهرة .1987

6- أحمد عارف حجازي عبد العليم، الحقول الدلالية في القراءات القرآنية الصحيحة، ط1، مكتبة الآداب،مبدان الأوبرا،القاهرة،2007.

7- أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2002

8- أحمد علام، في علم اللغة العام، ط1 ، مكتبة المتنبي، المملكة العربية السعودية 2006.

9- أحمد مختار عمر:

- البحث اللغوي عند العرب، مطابع سجل العرب، توزيع دار المعارف مصر،1971.

- علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، .1982

10- آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،تر،محمد عبد الهادي أبو ريدة،ط2 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة.

11- حسين نصار، المعجم العربي – نشأته وتطوره- ، دار مصر للطباعة، الجزء الأول.

12- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مطبعة السعادة، مصر .1960

13- خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ط1، بيت الحكمة.2009

14- رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ط2 ن مكتبة الخانجي، القاهرة 1980

15- زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ط2، مطبعة السعادة مصر .1957

16- سالم سليمان الخماش، المعجم وعلم الدلالة،جامعة الملك عبد العزيز، جدة السعودية، 1428هـ.

17- صلاح الدين زرال،الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري،ط منشورات الاختلاف الجزائر، 2008 .

18- عبد العزيز أحمد علام، في علم اللغة العام، ط1، مكتبة المتنبي، السعودية2006.

19- عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي، توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986.

20- عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر،ط2، مكتبة لبنان ناشرون، 1994.

21- عقيد خالد حمودي العزاوي، علم الدلالة، دراسة وتطبيقات، دار العصماء، دمشق، سنة 2000.

22- فايز الداية، علم الدلالة العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1973.

23- كلود جرمان، ريمون لوبلون، علم الدلالة،تر:نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي.

24- محمد علي عبد الكريم الرديني:

- المعجمات العربية، دراسة منهجية، ط2 ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006.

- فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، .2007

25 - محمود السعران، علم اللغة، ط2 ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.

26- محمود جاد الرب، نظرية الحقول الدلالية والمعاجم المعنوية عند العرب، مجلة مجمع اللغة العربية، 992 .

27- محمود عبد الجادر، الثعالبي ناقدا وأديبا،ط1، دمشق، سوريا2010.

28- محمد علي سلطاني، التذكرة في المعاجم العربية، ط1، دار العصماء، دمشق سوريا، .2010

29- محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية مصر 2003.

30- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب،ط1، 2004 دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.

31 - منقور عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومباحثه، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2000.

32- نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.2007

33 - هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 2007.

34- هاني الصحاني، موضوعات لغوية،ط1، دار العصماء، دمشق سوريا.2008

35- يسري عبد الغني عبد الله، معجم المعاجم العربية، ط1، دار الجيل، بيروت1991.

المعاجم:

- الأزهري، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن منظور، لسان العرب دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة.
- الجوهري، الصحاح، تح، أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة 1956.

المجلات:

- مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، جوان 2002، العدد رقم 02.

فهرس المحتويات

مدخــــل... 05

علم الدلالة: 'توصيف المصطلح' 05

موضوع علم الدلالة 06

نشأة علم الدلالة.. 07

اهتمامات العرب 09

علم الدلالة ومستويات البحث اللغوي................................ 11

علاقة علم الدلالة بالعلوم الأخرى................................... 17

الفصل الأول: التصنيف الموضوعي بين التراث اللغوي العربي والنظريات اللسانية الغربية

تمهيد 20

المبحث الأول : تصنيفات المعاجم العربية 28

معاجم الألفاظ.. 28

معاجم الموضوعات 31

أهم المحاولات النقدية للمعاجم العربية القديمة.......................... 33

المبحث الثاني: النظريات الدلالية الحديثة.............................. 37

النظرية الإشارية 38

النظرية التصورية 40

المدرسة السلوكية الأمريكية 42

النظرية السياقية الإنجليزية (الاجتماعية) 44

نظرية الحقول الدلالية 45

المبحث الثالث: التصنيف الموضوعي 50

الفصل الثاني: كتاب فقه اللغة ونظرية الحقول الدلالية عند العرب

المبحث الأول: أبو منصور الثعالبي، حياته، رحلاته، تلاميذه، مؤلفاته 55

حياتــه 55

رحلاتــه 56

تلامـيذه 58

مؤلفاته 58

المبحث الثاني: كتاب فقه اللغة وسر العربية وسياقاته 60

التعريف بالكتاب 60

منهج الثعالبي في الكتاب 60

سياقات التأليف 67

السياق السياسي 67

السياق الاقتصادي 69

السياق السوسيو ثقافي 71

تأثر الثعالبي بكتابات سابقيه 76

المبحث الثالث: نظرية الحقول الدلالية عند العرب 79

الفصل الثالث: البعد التراثي والتاريخي لنظرية الحقول الدلالية من خلال كتاب فقه اللغة

المبحث الأول: نظرية الحقول الدلالية من خلال كتاب فقه اللغة 83

المبحث الثاني: عناصر نظرية الحقول الدلالية من خلال كتاب فقه اللغة 103

الترادف 103

المشترك اللفظي 106

التضاد 109

الحقول المتدرجة 112

الحقول الاشتقاقية 114

الخاتمة 116

قائمة المصادر والمراجع 119

ملخص:

من الشائع في الدرس اللّساني المعاصر، أن البحث الدلالي يهتمّ بدراسة المعنى وتصب مباحثه حول طبيعة ومميزات التغيّرات الدلالية، ونظرا لأهمية هذا المبحث المتميز جاءت هذه الدراسة لتبحث في تأصيل الدلالة والوقوف عند حقوها الدلالية والمعرفية من خلال مدونة الثّعالبي الموسومة بـ : "فقه اللغة وسرّ العربية"، الذي يشكّل بحقّ حقلا معرفيا جادًّا أفادت منه الدراسات اللسانية الحديثة.

Résumé:

Il est commun dans le cours de la linguistique contemporaine que la recherche sémantique s'intéresse à l'étude du sens, et ses chapitres s'articulent autour de la nature et des caractéristiques des changements sémantiques. Compte tenu de l'importance de ce chapitre particulier, cette étude cherche l'origine de la sémiologie et examine ses aspects cognitifs à travers la nomenclature de ThaÏlibi intitulée (fikh allogha wa sir el arabiya) , considérée comme vrai champ cognitif duquel la linguistique moderne a bénéficié.